

سُورَةُ الْحَجِّ

مَكِّيَّةٌ، غَيْرُ سِتِّ آيَاتٍ، وَهِيَ:

هَذَانِ خَصْمَانِ . . . إِلَى قَوْلِهِ . . . إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ

وَهِي ثَمَانٍ وَسَبْعُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبِّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (١)

الزَّلْزَلَةُ: شِدَّةُ التَّحْرِيكِ وَالْإِزْعَاجِ، وَأَنْ يَضَاعَفَ زَلِيلَ الْأَشْيَاءِ^(١) عَنْ مَقَارِزِهَا وَمَرَكَزِهَا وَلَا تَخْلُو ﴿السَّاعَةَ﴾ مِنْ أَنْ تَكُونَ عَلَى تَقْدِيرِ الْفَاعِلَةِ لَهَا، كَأَنَّهَا هِيَ الَّتِي تَزَلُّ الْأَشْيَاءَ عَلَى الْمَجَازِ الْحَكْمِيِّ، فَتَكُونُ الزَّلْزَلَةُ مُصَدَّرًا مِضَافًا إِلَى فَاعِلِهِ، أَوْ عَلَى تَقْدِيرِ الْمَفْعُولِ فِيهَا عَلَى طَرِيقَةِ الْإِتْسَاعِ فِي الظَّرْفِ وَإِجْرَائِهِ مَجْرَى الْمَفْعُولِ بِهِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَلْ مَكْرٌ أَلِيلٌ وَالنَّهَارُ﴾ [سبأ: ٢٣]، وَهِيَ الزَّلْزَلَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزَّلْزَلَةُ: ١]، وَاخْتَلَفَ فِي وَقْتِهَا؛ فَعَنِ الْحَسَنِ: أَنَّهَا تَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعَنِ عُلُقَمَةَ وَالشَّعْبِيِّ: عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَمْرُ بَنِي آدَمَ بِالتَّقْوَى، ثُمَّ عِلَلُ وَجُوبِهَا عَلَيْهِمْ بِذِكْرِ السَّاعَةِ، وَوَصْفِهَا بِأَهْوَلِ صِفَةٍ؛ لِيَنْظُرُوا إِلَى تِلْكَ الصِّفَةِ بِبِصَائِرِهِمْ وَيَتَصَوَّرُوهَا بِعُقُولِهِمْ، حَتَّى يَبْقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَيَرْحَمُوهَا مِنْ شِدَائِدِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، بِامْتِثَالِ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ مِنَ التَّرَدُّيْ بِلِبَاسِ التَّقْوَى، الَّذِي لَا يُؤْمِنُهُمْ مِنْ تِلْكَ الْأَفْزَاعِ إِلَّا أَنْ يَتَرَدُّوا بِهِ، وَرَوَى أَنَّ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ نَزَلَتَا لَيْلًا فِي غَزْوَةِ بَنِي الْمِصْطَلِقِ، فَقَرَأَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فَلَمْ يَرِ أَكْثَرَ بَاطِنًا مِنْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا لَمْ يَحْطُوا السَّرُوجَ عَنِ الدُّوَابِّ، وَلَمْ يَضْرِبُوا الْخِيَامَ وَقَتَ النُّزُولِ، وَلَمْ يَطْبُخُوا قَدْرًا، وَكَانُوا مِنْ بَيْنِ حَزِينٍ وَبَاكٍ وَمَفْكَرٍ (٩٧٤)

٩٧٤ - ذكره البيهقي (٢٧٤/٣) قال: «روي عن عمران بن حصين وأبي سعيد الخدري وغيرهما أن هاتين الآيتين نزلتا في غزوة بني المصطلق ليلاً، فتنادى منادى رسول الله ﷺ - فقراها عليهم فلم ير أكثر =

(١) قوله «وأن يضاعف زليل الأشياء» أي يكرر انحراف الأشياء وتزحزحها عن مواضعها. وفي الصحاح: تقول زللت يا فلان - بالفتح - نزل زليلاً: إذا زل في طين أو منطلق. (ع)

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا
وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (٢)

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾: منصوب بتذهل، والضمير للزلزلة، وقرئ: تذهل كل مرضعة، على البناء للمفعول: وتذهل كل مرضعة، أي: تذهلها الزلزلة، والذهول: الذهاب عن الأمر مع دهشة.

فإن قلت: لم قيل: ﴿مُرْضِعَةٌ﴾ دون مرضع؟

قلت: المرضعة التي هي في حال الإرضاع ملقمة نديها الصَّبي، والمرضع: التي شأنها أن ترضع وإن لم تباشِر الإرضاع في حال وصفها به^(١)، فقيل: مرضعة؛ ليدل على

= باكياً من تلك الليلة... فذكر حديثاً طويلاً.

قال الزيلعي (٣٧٧/٢): غريب بهذا اللفظ اهـ.

وأخرج الترمذي (٣٢٣/٥) كتاب التفسير باب ومن سورة الحج حديث (٣١٦٩) من حديث الحسن عن عمران بن حصين قال: كنا مع النبي - ﷺ - في سفر فتفاوت بين أصحابه في السير، فرفع رسول الله - ﷺ - صوته بهاتين الآيتين: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقُوا رَبَّكُمْ إِنَّكَ زَلْزَلَةٌ الشَّكَاةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (٢) إلى قوله: ﴿عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾، فلما سمع ذلك أصحابه حثوا المطي، وعرفوا أنه عند قول يقول... فذكر حديثاً طويلاً.

ورواه أيضاً النسائي في التفسير (٨٢/٢) رقم (٣٦٠)، وأحمد في المسند (٤٣٢/٤)، (٤٣٥/٤)، والحاكم في المستدرک (٢٨/١)، (٢٣٣/٢ - ٣٨٥)، (٥٦٧/٤).

قال الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأكثر أئمة البصرة على أن الحسن قد سمع من عمران، غير أن الشيخين لم يخرجاه اهـ. ووافقه الذهبي.

قال الحافظ: هكذا ذكره الثعلبي والبغوي. قالوا: روي عن عمران بن حصين وأبي سعيد الخدري وغيرهما أن هاتين الآيتين نزلتا ليلاً في غزوة بني المصطلق إلى آخره، قلت: وهو ملفق من حديثيه المذكورين. وثالثهما ابن عباس فيما رواه ابن إسحاق عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: «بينما رسول الله - ﷺ - في مسيره في غزوة بني المصطلق إذ نزل عليه: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقُوا رَبَّكُمْ﴾ - إلى - ﴿شَدِيدٌ﴾، فوقف على ناقته، ورفع صوته - الحديث، ورواه الترمذي والنسائي والحاكم من طريق الحسن عن عمران بن حصين: «أن رسول الله - ﷺ - وهو في بعض أسفاره وقد تقارب من أصحابه السير ورفع بهاتين صوته: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقُوا رَبَّكُمْ﴾ - إلى قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾، فلما سمع أصحابه بذلك حثوا المطي، وعرفوا أنه عنده قول يقول: فلما التفتوا حوله قال: أتدرون أي يوم ذلك؟ يوم ينادي آدم - الحديث. وفيه: فأبلس أصحابه حتى ما أوضحوا بضاحكة. فلما رأى ذلك قال: اعلموا وأبشروا - الحديث. وأما آخره فلم أره. انتهى.

(١) قال محمود: «يقال مرضع على النسب ومرضعة على أصل اسم الفاعل» قال أحمد: والفرق بينهما أن وروده على النسب لا يلاحظ فيه حدوث الصفة المشتق منها، ولكن مقتضاه أنه موصوف بها، =

أن ذلك الهول إذا فوجئت به هذه وقد ألقمت الرضيع ثديها، نزعته عن فيه، لما يلحقها من الدهشة، ﴿عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾: عن إرضاعها، أو عن الذي أرضعته وهو الطفل، وعن الحسن: تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام، وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام، قرئ: ﴿وَتَرَى﴾: بالضم من أريتك قائماً، أو رؤيتك قائماً^(١)، و﴿النَّاسُ﴾: منصوب ومرفوع، والنصب ظاهر، ومن رفع جعل الناس اسم ترى، وأثنه على تأويل الجماعة، وقرئ: «سكرى»، و«بسكرى»، وهو نظير: جوعي وعطشى، في جوعان وعطشان، وسكارى وبسكارى؛ نحو: كسالى وعجالي، وعن الأعمش: «سكرى»، و«بسكرى»: بالضم، وهو غريب، والمعنى: وتراهم سكارى على التشبيه، وما هم بسكارى على التحقيق^(٢)؛ ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله هو الذي أذهب عقولهم، وطير تمييزهم، وردهم في نحو حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه، وقيل وتراهم سكارى من الخوف، وما هم بسكارى من الشراب.

فإن قلت: لم قيل أولاً: ترون، ثم قيل: ترى، على الأفراد؟

قلت: لأن الرؤية أولاً علقّت بالزلزلة، فجعل الناس جميعاً راثين لها، وهي معلقة أخيراً بكون الناس على حال السكر، لا بد أن يجعل كل واحد منهم راثياً لسائرهم.

﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مِنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾

قيل: نزلت في النضر بن الحارث، وكان جدلاً يقول: الملائكة بنات الله والقرآن:

وعلى غير النسب يلاحظ حدوث الفعل وخروج الصفة عليه، وكذلك هو في الآية لقوله ﴿عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ فأخرج الصفة على الفعل، وألحقه التاء.

(١) قوله «أو رؤيتك قائماً» لعله: أو رؤيت قائماً. (ع)

(٢) قال محمود: «وقوله وتري الناس سكارى وما هم بسكارى: أثبت لهم أولاً السكر المجازي، ثم نفى عنهم السكر الحقيقي» قال أحمد: والعلماء يقولون: إن من أدلة المجاز صدق نقيضه، كقولك: زيد حمار، إذا وصفته بالبلادة، ثم يصدق أن تقول: وما هو بحمار، فتنفي عنه الحقيقة، فكذلك الآية بعد أن أثبت السكر المجازي نفى الحقيقة أبلغ نفى مؤكداً بالباء. والسر في تأكيده: التنبيه على أن هذا السكر الذي هو بهم في تلك الحالة ليس من المعهود في شيء، وإنما هو أمر لم يعهدوا قبله مثله، والاستدراك بقوله: ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ راجع إلى قوله: ﴿وَمَا هُمْ بِسُكْرَى﴾ وكأنه تعليل لإثبات السكر المجازي، كأنه قيل: إذا لم يكونوا سكارى من الخمر وهو السكر المعهود، فما هذا السكر الغريب وما سببه؟ فقال: سببه شدة عذاب الله تعالى، ونقل عن جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه أنه قال: هو الوقت الذي يقول كل من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيه «نفسى نفسى».

أساطير الأولين، والله غير قادر على إحياء من بلى وصار تراباً، وهي عامة في كل من تعاطى الجidal فيما يجوز على الله وما لا يجوز من الصفات والأفعال، ولا يرجع إلى علم ولا بعض فيه بضرس قاطع، وليس فيه اتباع للبرهان ولا نزول على النصفة، فهو يخطب خبط عشواء، غير فارق بين الحق والباطل، ﴿وَتَّبِعْ﴾: في ذلك خطوات ﴿كُلُّ شَيْطَانٍ﴾: عات، علم من حاله وظهر وتبين أنه من جعله ولياً له لم تشر له ولايته إلا الإضلال عن طريق الجنة والهداية إلى النار ٢/٢٧، وما أرى رؤساء أهل الأهواء^(١) والبدع والحشوية المتلقبين بالإمامة في دين الله إلا داخلين تحت كل هذا دخولاً أولياً، بل هم أشد الشياطين إضلالاً وأقطعهم لطريق الحق؛ حيث دونوا الضلال تدويناً، ولقنوه أشياءهم تلقيناً، وكانهم ساطوه بلحومهم^(٢) ودمائهم؛ وإياهم عنى من قال [من الطويل]:

وَيَأْتِي مَقْفُو الْخُطَا بَيْنَ قَوْمِهِ طَرِيقُ نَجَاةٍ عِنْدَهُمْ مُسْتَوٍ نَهْجٍ
وَلَوْ قَرَأُوا فِي اللُّوحِ مَا خُطَّ فِيهِ مِنْ بَيَانٍ أَعْوَجَّاجٍ فِي طَرِيقَتِهِ عَجْوًا^(٣)

اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح الذي رضيته لملائكتك في سمواتك، وأنبياك في أرضك، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، والكتبة عليه مثل، أي: كأنما كتب إضلال من يتولاها عليه ورقم به لظهور ذلك في حاله، وقرئ: «أنه»، «فأنه»: بالفتح والكسر، فمن فتح فلأن الأول: فاعل كتب، والثاني: عطف عليه^(٤)، ومن كسر فعلى حكية المكتوب كما هو؛ كأنما^(٥) كتب عليه هذا الكلام، كما تقول: كتبت: إن الله هو الغني الحميد، أو على تقدير: قيل، أو على أن كتب فيه معنى القول.

(١) قوله «رؤساء أهل الأهواء» إن كان مراده أهل السنة كما هو عادته في الكتابة من التشيع عليهم،

فينبغي مطالبته بالفرق بينهم وبين المعتزلة، حتى استحقوا التشيع دونهم. (ع)

(٢) قوله «وكانهم ساطوه بلحومهم» أي خلطوه. (ع)

(٣) يا: للتنبية أو للنداء. والمنادى محذوف. والمقفو: المتبوع. والخطا: جمع خطوة، مستعارة للأفعال بجامع التبعية في كل، وكذلك الطريق مستعار للقفو من حيث اتباعه فيها ودوامه عليها. مستو: مستقيم. والنهج والمنهج والمنهاج: الطريق الواضح. والاعوجاج مستعار للبس وللكذب. وعجوا: ضجوا وصاحوا.

(٤) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وهذا لا يجوز لأنك إذا جعلت فإنه عطفاً على أنه بقيت أنه بلا استيفاء خبر لأن من تولاه من فيه مبتدأ فإن قدرتها موصولة فلا خبر لها حتى يستقل خبراً، لأنه وإن جعلتها شرطية فلا جواب لها إذ جعلت فإنه عطفاً على أنه، قلت: وقد ذهب ابن عطية إلى مثل قول الزمخشري فإنه قال: وأنه في موضع رفع على المفعول الذي لم يسم فاعله، وأما الثانية عطف على الأولى مؤكداً ومثلها وهذا رد واضح. انتهى. الدر المصون.

(٥) قوله «هو كأنما» لعله: أي كأنما. (ع)

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعثِ فَإِنَّا خَلَقْنٰكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنَبِّئَنَّ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُؤْتِكُمْ مِنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَزْدِلِ الْأَعْمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَرَأَىٰ الْأَرْضَ هَائِمَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٌ ﴿٥﴾﴾

قرأ الحسن: (من البعث): بالتحريك، ونظيره: الجلب والطرء، في الجلب والطرء؛ كأنه قيل: إن ارتبتم في البعث فمزيل ريبكم أن تنظروا في بدء خلقكم، والعلقة: قطعة الدم الجامدة، والمضغة: اللحمية الصغيرة قدر ما يمضغ، والمخلقة: المسواة الملساء من النقصان والعيب، يقال: خلق السواك والعود: إذا سواه وملسه، من قولهم: صحرة خلقاء، وإذا كانت ملساء؛ كأن الله - تعالى - يخلق المضع متفاوتة: منها ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب، ومنها ما هو على عكس ذلك، فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم، وصورهم وطولهم وقصرهم، وتامهم ونقصانهم؛ وإنما نقلناكم من حال إلى حال ومن خلقة إلى خلقة: ﴿لِنَبِّئَنَّ لَكُمْ﴾: بهذا التدرج قدرتنا وحكمتنا، وأن من قدر على خلق البشر من تراب أولاً، ثم من نطفة ثانياً ولا تناسب بين الماء والتراب، وقدر على أن يجعل النطفة علقة وبينهما تباين ظاهر، ثم يجعل العلقة مضغة، والمضغة عظاما: قدر على إعادة ما أبداه، بل هذا أدخل في لقدرة من تلك، وأهون في القياس، وورود الفعل غير معدي إلى المبين: إعلام بأن أفعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه ما لا يكتننه الذكر ولا يحيط به الوصف، وقرأ ابن أبي عملة: «ليبين لكم»، و«يقرّ»: بالياء، وقرئ: «ونقرّ»، و«نخرجكم»: بالنون والنصب، و«يقرّ»، و«يخرجكم»، و«يقرّ»، و«يخرجكم»: بالنصب والرفع، وعن يعقوب: «نقرّ»: بالنون وضم القاف، من قرّ الماء إذا صبه، فالقراءة بالرفع إخبار بأنه يقرّ، ﴿فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾: أن يقرّه من ذلك، ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: وهو وقت الوضع آخر ستة أشهر، أو تسعة، أو سنتين، أو أربع، أو كما شاء وقدر، وما لم يشأ إقراره محته الأرحام أو أسقطته، والقراءة بالنصب: تعليل معطوف على تعليل، ومعناه: خلقناكم مدرجين هذا التدرج لغرضين، أحدهما: أن نبين قدرتنا، والثاني: أن نفر في الأرحام من نقرّ، حتى يولدوا وينشئوا ويبلغوا حد التكليف فأكلفهم؛ ويعضد هذه القراءة قوله: ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ [الحج: ٥]، وحده؛ لأن الغرض الدلالة على الجنس، ويحتمل: نخرج كل واحد منكم طفلاً، الأشد: كمال القوة والعقل والتمييز، وهو من ألفاظ الجموع التي لم

يستعمل لها واحد كالأسدة^(١) والقتود والأباطيل وغير ذلك، وكأنها شدة في غير شيء واحد، فبينت لذلك على لفظ الجمع، وقرئ: «ومنكم من يتوفى»، أي: يتوفاه الله، ﴿أَزَلِ الْأَعْمُرُ﴾: الهرم والخرف، حتى يعود كهيئته الأولى في أوان طفولته: ضعيف البنية، سخييف العقل، قليل الفهم، بين أنه كما قدر على أن يرقيه في درجات الزيادة حتى يبلغه حد التمام، فهو قادر على أن يحطه حتى ينتهي به إلى الحالة السفلى، ﴿يَكِيلًا يَعْلَمُ مِنْ بَعْرِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾، أي: ليصير نساء، بحيث إذا كسب علماً في شيء لم ينسب أن ينسأه ويزل عنه علمه حتى يسأل عنه من ساعته، يقول لك: من هذا؟ فتقول: فلان، فما يلبث لحظة إلا سألك عنه، وقرأ أبو عمرو: «العمر»: بسكون الميم، الهامدة: الميتة اليابسة؛ وهذه دلالة ثانية على البعث، ولظهورها وكونها مشاهدة معانية، كررها الله في كتابه، ﴿تَهَزَّتْ وَرَبَّةً﴾: تحزكت بالنبات وانتفخت، وقرئ: «ربأت»، أي: ارتفعت، البهيج: الحسن السار للناظر إليه.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ (٧)

أي: ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم وإحياء الأرض، مع ما في تضاعيف ذلك من أصناف الحكم واللطائف، حاصل بهذا وهو السبب في حصوله، ولولاه لم يتصور كونه، وهو: ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ أي: الثابت الموجود، وأنه قادر على إحياء ٢٧/٢ ب الموتى وعلى كل مقدور، وأنه حكيم لا يخلف ميعاده، وقد وعد الساعة والبعث، فلا بد أن يفى بما وعد.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (٨) ثَانِي عَطْفِهِ، يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ (٩) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (١٠)

عن ابن عباس: أنه أبو جهل بن هشام، وقيل: كرر كما كررت سائر الأقسام، وقيل: الأول في المقلدين، وهذا في المقلدين، والمراد بالعلم: العلم الضروري،

(١) قوله «من ألفاظ الجمع التي لم يستعمل لها واحد كالأسدة والقتود والأباطيل» الذي في الصحاح «السد» بالفتح: واحد الأسدة وهي العيوب اهد وهي مثل العمى والصمم والبكم على غير قياس، وكان قياسه: سدود. والقتد: خشب الرجل، وجمعه: قتود وأقتاد. والباطل: ضد الحق، والجمع أباطيل على غير قياس كأنهم جمعوا إبطيلاً. وفيه أيضاً قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَلِغَ أَشُدُّهُ﴾ أي قوته وهو واحد جاء على بناء الجمع، مثل «أنك» وهو الأسرب، ولا نظير لهما، ويقال له: جمع لا واحد له من لفظه، مثل: أبابيل، وعباديد، ومذاكير. (ع)

وبالهدى: الاستدلال والنظر؛ لأنه يهدي إلى المعرفة، وبالكتاب المنير: الوحي، أي: يجادل بظن وتخمين، لا بأحد هذه الثلاثة، وثنى العطف: عبارة عن الكبر والخيلاء، كتصغير الخدّ ولتي الجيد، وقيل: عن الإعراض عن الذكر، وعن الحسن: «ثاني عطفه»، بفتح العين، أي: مانع تعطفه ﴿لِيُضِلَّ﴾: تعليل للمجادلة، قرئ بضم الياء وفتحها.

فإن قلت: ما كان غرضه من جداله الضلال: ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فكيف علل به؟ وما كان - أيضاً - مهتدياً حتى إذا جادل خرج بالجدال من الهدى إلى الضلال؟

قلت: لما أدى جداله إلى الضلال، جعل كأنه غرضه، ولما كان الهدى معرضاً له فتركه وأعرض عنه وأقبل على الجدال بالباطل، جعل كالخارج من الهدى إلى الضلال، وخزيه: ما أصابه يوم بدر من الصغار والقتل، والسبب فيما مني به من خزي الدنيا وعذاب الآخرة: هو ما قدمت يدها، وعدل الله في معاقبته الفجار وإثابته الصالحين.

﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ، وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ. لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾﴾

﴿عَلَى حَرْفٍ﴾: على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه، وهذا مثل؛ لكونهم على قلق واضطراب في دينهم، لا على سكون وطمأنينة، كالذي يكون على طرف من العسكر، فإن أحسن بظفر وغنيمه قرّ واطمأن، وإلا فرّ وطار على وجهه، قالوا: نزلت في أعراب قدموا المدينة، وكان أحدهم إذا صح بدنه وتجت فرسه مهراً سريعاً، وولدت امرأته غلاماً سوياً، وكثر ماله وماشيته، قال: ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا إلا خيراً، واطمأن، وإن كان الأمر بخلافه، قال: ما أصبت إلا شراً، وانقلب، وعن أبي سعيد الخدري أن رجلاً من اليهود أسلم فأصابته مصائب، فتنشأ بالاسلام، فأتى النبي - ﷺ - فقال: أقلني، فقال: «إِنَّ الْإِسْلَامَ لَا يُقَالُ» (٩٧٥)؛ فنزلت، المصاب بالمحنة بترك التسليم لقضاء الله والخروج

٩٧٥ - عزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٢/٣٧٩) لابن مردويه في تفسيره، والواحد في أسباب النزول، والحديث رواه المعقلي في الضعفاء (٣/٣٦٨)، من حديث عنبسة أخو أبي ربيع السمان عن أبي الزبير عن جابر أن رسول الله - ﷺ - أتاه يهودي فقال: يا رسول الله، اعرض عليّ الإسلام، فعرض عليه فأسلم فرجع إلى منزله، فأصيب في عينيه، وأصيب في بعض ولده، فرجع إلى رسول الله - ﷺ - فقال: أقلني فقال رسول الله - ﷺ -: «إِنَّ الْإِسْلَامَ لَا يُقَالُ إِنَّكَ إِنْ رَجَعْتَ عَنِ الْإِسْلَامِ ضَرَبْتُ عَنْقَكَ مَرَّتَيْنِ، إِنْ الْإِسْلَامَ يَسُكُ الرَّجَالُ بِخُرْجِ خَيْبِهِمْ كَمَا يَخْرُجُ الْكُورُ - أَوْ =

إلى ما يسخط الله: جامع على نفسه محنتين، إحداهما: ذهاب ما أصيب به، والثانية: ذهاب ثواب الصابرين، فهو خسران الدارين، وقرئ: «خاسر الدنيا والآخرة»: بالنصب والرفع، فالنصب: على الحال، والرفع: على الفاعلية، ووضع الظاهر موضع الضمير، وهو وجه حسن، أو على أنه خبر مبتدأ محذوف، استعير ﴿الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾: من ضلال من أبعده في التيه ضالاً، فطالت وبعدت مسافة ضلالته.

فإن قلت: الضرر والنفع منفيان عن الأصنام مثبتان لها في الآيتين، وهذا تناقض.

قلت: إذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم؛ وذلك أن الله - تعالى - سفه الكافر بأنه يعبد جماذا لا يملك ضرراً ولا نفعاً، وهو يعتقد فيه بجهله وضلاله أنه يستنفع به حين يستشفع به، ثم قال: يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ، حين يرى استضراره بالأصنام ودخوله النار بعبادتها، ولا يرى أثر الشفاعة التي ادعاها لها، ﴿لَمَنْ ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ، لَيْسَ الْمَوْلَى وَكَفَى الْمَشِيرُ﴾: أو كثر يدعو، كأنه قال: يدعو يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه، ثم قال: لمن ضره بكونه معبوداً أقرب من نفعه بكونه شافعاً لبئس المولى، وفي حرف عبد الله: «من ضره»: بغير لام، المولى: الناصر، والعشير: صاحب؛ كقوله: ﴿فَيَسِّرُ الْكَلْبَ﴾ [الزخرف: ٣٨].

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَتْ يَدَاكَ يُقِنُّكَ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾

هذا كلام قد دخله اختصار، والمعنى: إن الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة، فمن كان يظن من حاسديه وأعدائه أن الله يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه، ويغيظه أنه يظفر بمطلوبه، فليستقص وسعه وليستفرغ مجهوده في إزالة ما يغيظه، بأن يفعل ما يفعل من بلغ

قال الكير - خبت الذهب والفضة والحديد إذا ألقى فيه».

قال: وهذا يروى بغير هذا الإسناد، وخلاف هذا اللفظ بإسناد أصلح من هذا. قال الحافظ: هكذا ذكره الواحدي في الأسباب، لكن بغير إسناد فقال: روى عطية عن أبي سعيد، فذكره سواء وأخرجه ابن مردويه من رواية عطية عن أبي سعيد قال: «أسلم رجل من اليهود فذهب ماله وولده، وتشاءم بالإسلام - الحديث نحوه» وإسناده ضعيف وأخرج العقيلي من رواية عنبسة بن سعيد عن أبي الزبير عن جابر قال: «أتى النبي - ﷺ - يهودي فأسلم على يديه، ثم رجع إلى منزله فأصيب في عينه وفي ولده، فرجع إلى النبي - ﷺ - فقال: أقلتني - الحديث» ولم يذكر فيه نزول الآية. وعنبسة ضعيف جداً. انتهى.

منه الغيظ كل مبلغ حتى مدّ جبلاً إلى سماء بيته فاختنق، فليُنظر وليصوّر في نفسه أنه إن فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيظه؟ وسمى الاختناق قطعاً؛ لأنّ المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه، ومنه قيل للبهير: القطع^(١)، وسمى فعله كيداً؛ لأنه وضعه موضع الكيد؛ حيث لم يقدر على غيره، أو على سبيل الاستهزاء؛ لأنه لم يكده محسوده إنما كاد به نفسه، والمراد: ليس في يده إلا ما ليس بمذهب لما يغيظه، وقيل: فليمدد بحبل إلى السماء المظلة، وليصعد عليه فليقطع الوحي أو ينزل عليه، وقيل: كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطون ما وعد الله رسوله من النصر، وآخرون من المشركين يريدون اتباعه ويخشون ألا يثبت أمره؛ فنزلت، ٢/٢٨٨ وقد فسر النصر: بالرزق، وقيل: معناه: أن الأرزاق بيد الله، لا تنال إلا بمشيئته ولا بد للعبد من الرضا بقسمته، فمن ظن أن الله غير رازقه وليس به صبر واستسلام، فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق؛ فإن ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده مرزوقاً.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ﴾ (١٦)

أي: ومثل ذلك الإنزال أنزلنا القرآن كله، ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي﴾: به الذين يعلم أنهم يؤمنون، أو يثبت الذين آمنوا ويزيدهم هدى، أنزله كذلك مبيناً.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْمُجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (١٧)

الفصل مطلق يحتمل الفصل بينهم في الأحوال والأماكن جميعاً، فلا يجازيهم جزاء واحداً بغير تفاوت، ولا يجمعهم في موطن واحد، وقيل: الأديان خمسة: أربعة للشيطان وواحد للرحمن، جعل الصابئون مع النصاري؛ لأنهم نوع منهم، وقيل: ﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾: يقضي بينهم، أي: بين المؤمنين والكافرين، وأدخلت: ﴿أَنَّ﴾ على كل واحد من جزأي الجملة؛ لزيادة التوكيد؛ ونحوه قول جرير [من البسيط]:

إِنَّ الْخَلِيفَةَ إِنْ أَلَّهَ سَرَبْلَهُ سِرْبَالَ مُلْكٍ بِهِ تُزَجَّى الْخَوَاتِيمُ^(٢)

(١) قوله «ومنه قيل للبهير القطع» أي تابع النفس. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) لجرير. وقوله: «إن الله سربله» خبر «إن» الأولى، وكررها لتوكيد التوكيد، وسربله: كساه بالملك الشبيه بالسربال. ويروى: سربال ملك به، أي: بذلك اللباس أو الملك، تزجي: أي تساق الخواتيم: جمع خاتم - بالفتح والكسر - والأصل: خواتم، فزيدت الياء. والمراد بها: عواقب الأمور الحميدة. وقال أبو حيان: يحتمل أن خير إن قوله (به تزجي) وجملة «إن الله سربله» اعتراضية: ويروى: «به ترجى» بالراء، وليحزر.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ
وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ
مُكْرَمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ ﴿١٨﴾

سميت مطاوعتها له فيما يحدث فيها من أفعاله ويجريها عليه من تدبيره وتسخيرها لها:
سجوداً له؛ تشبيهاً لمطاوعتها بإدخال أفعال المكلف في باب الطاعة والانقياد، وهو
السجود الذي كل خضوع دونه.

فإن قلت: فما تصنع بقوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾، وبما فيه من الاعتراضين:
أحدهما: أن السجود على المعنى الذي فسرت به، لا يسجده بعض الناس دون بعض،
والثاني: أن السجود قد أسند على سبيل العموم إلى من في الأرض من الإنس والجن
أولاً، فإسناده إلى كثير منهم آخرأ مناقضة؟

قلت: لا أنظم كثيراً في المفردات المتناسقة الداخلة تحت حكم الفعل؛ وإنما أرفعه
بفعل مضمّر يدل عليه قوله: ﴿يَسْجُدُ﴾ أي: ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة
وعبادة، ولم أقل: أفسر يسجد الذي هو ظاهر بمعنى: الطاعة والعبادة في حق هؤلاء؛
لأن اللفظ الواحد لا يصح استعماله في حالة واحدة على معنيين مختلفين، أو أرفعه على
الابتداء والخبر محذوف وهو مثاب؛ لأنّ خبر مقابله يدل عليه، وهو قوله: ﴿حَقَّ عَلَيْهِ
أَعْدَابٌ﴾، ويجوز أن يجعل ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾: خبراً له، أي: من الناس الذين هم الناس
على الحقيقة وهم الصالحون والملتقون، ويجوز أن يبالغ في تكثير المحقوقين بالعذاب،
فيعطف كثير على كثير، ثم يخبر عنهم بحق عليهم العذاب، كأنه قيل: وكثير وكثير من
الناس حق عليهم العذاب^(١)، وقرئ: «حق»: بالضم، وقرئ: «حقاً»، أي: حق عليهم
العذاب حقاً، ومن أهانه الله - بأن كتب عليه الشقاوة لما سبق في علمه من كفره أو فسقه -
فقد بقي مهاناً^(٢)، لن تجد له مكرماً، وقرئ: «مكراً»، بفتح الراء، بمعنى: الإكرام، إنه

= ينظر: ديوانه ص (٦٧٢)، وخزانة الأدب (١٠/٣٦٤ - ٣٦٨)، وأمالى الزجاجي ص (٦٢)، وتذكرة
النحاة ص (١٣٠) ولسان العرب (ختم).

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ بعد أن حكى عن الزمخشري الوجهين الأخيرين قال: وهذان
التخريجان ضعيفان ولم يبين وجه ضعفهما قلت أما أولهما فلا شك في ضعفه إذ لا فائدة طائلة في
الإخبار بذلك، وأما الثاني فقد يظهر وذلك أنّ التكرير يفيد التكرير وهو قريب من قولهم عندي ألف
وألف. انتهى. الدر المصون.

(٢) قوله «من كفره أو فسقه قد بقي مهاناً» مبني على أن الفاسق واسطة بين المؤمن والكافر. وأنه يخلد
في النار كالكافر، وهو مذهب المعتزلة، والحق عند أهل السنة أنه مؤمن، وإن دخل النار يخرج
منها بالشفاعاة أو بمجرد فضله تعالى. (ع)

﴿يَفْعَلْ مَا بَشَأَ﴾: من الإكرام والإهانة؛ ولا يشاء من ذلك إلا ما يقتضيه عمل العاملين واعتقاد المعتقدين.

﴿هَذَا خِصْمَانِ أَخَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَأَلْدَيْنَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٦﴾ يُصْهِرُ بِهِمَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿١٧﴾ وَهُمْ مَقْمَعٌ مِنْ حَدِيدٍ ﴿١٨﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَيْرِ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٩﴾﴾

الخصم: صفة وصف بها الفوج أو الفريق، فكأنه قيل: هذان فوجان أو فريقان مختصمان، وقوله: (هذان): للفظ، و(اختصموا): للمعنى؛ كقوله: ﴿وَرَبُّهُمْ مَنْ يَسْمَعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا﴾ [محمد: ١٦]، ولو قيل: هؤلاء خصمان، أو اختصما: جاز، يراد المؤمنون والكافرون، قال ابن عباس: رجع إلى أهل الأديان الستة، ﴿فِي رَبِّهِمْ﴾ أي: في دينه وصفاته، وروي أن أهل الكتاب قالوا للمؤمنين: نحن أحق بالله، وأقدم منكم كتاباً، ونبينا قبل نبيكم، وقال المؤمنون: نحن أحق بالله، وأما بمحمد، وأما بنبيكم وبما أنزل الله من كتاب، وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسداً، فهذه خصومتهم في ربهم، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: هو فصل الخصومة المعني بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، وفي رواية عن الكسائي: «خصمان»: بالكسر، وقرئ: «قطعت»: بالتخفيف، كأن الله تعالى يقدر لهم نيراناً على مقادير جثثهم تشمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة، ويجوز أن تظاهر على كل واحد منهم تلك النيران كالثياب المظاهرة على اللباس بعضها فوق بعض؛ ونحوه: ﴿سَرَابِيهُمُ مِنْ فِطْرَانٍ﴾ [إبراهيم: ٥٠]. ﴿الْحَمِيمُ﴾: الماء الحار، عن ابن عباس - رضي الله عنه -: لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لأذابتها، ﴿يُصْهِرُ﴾: يذاب، وعن الحسن بتشديد الهاء للمبالغة، أي: إذا صب الحميم على رءوسهم كان تأثيره في الباطن نحو تأثيره في الظاهر، فيذيب أحشاءهم وأمعاءهم كما يذيب جلودهم، وهو أبلغ من قوله: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ نَمَاهُ﴾ [محمد: ١٥]، والمقامع: السياط، في الحديث: «لَوْ وَضِعَتْ مُقْمَعَةٌ مِنْهَا فِي الْأَرْضِ فَأَجْتَمَعَ عَلَيْهَا الثُّقَلَانِ مَا أَقْلَوْهَا»^(١) (٩٧٦)،

٩٧٦ - أخرجه الحاكم (٦٠٠/٤) حدثنا والعباس محمد بن يعقوب ثنا بحر بن نصر الخولاني ثنا عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال: لو أن مقمصاً من حديد وضع في الأرض فاجتمع له الثقلان ما اقلوه من الأرض.

(١) وهو عند أحمد وأبي يعلى من رواية ابن لهيعة عن دراج. لفظه في قوله: ﴿وَلَمْ يَقْمَعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾: لو وضع مقمع منها في الأرض... الحديث.

وقرأ الأعمش: «ردوا فيها»، والإعادة والرد لا يكون إلا بعد الخروج، فالمعنى: كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم فخرجوا أعيدوا فيها، ومعنى الخروج: ما يروى عن الحسن أن النار تضربهم ٢٨/٢ ببلهها فترفعهم، حتى إذا كانوا في أعلاها ضربوا بالمقامع فهوا فيها سبعين خريفاً، (و) قيل لهم: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾، والحريق: الغليظ من النار المنتشر العظيم الإهلاك.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُكَلِّمُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهَدُوا إِلَى الْأُطْيَبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَدُوا إِلَى صِرَاطِ الْعَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَافِكُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْإِحْكَامِ يَظْلَمِ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿يُكَلِّمُونَ﴾ عن ابن عباس: من حليت المرأة فهي حال^(١)، ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾: بالنصب على: «ويؤتون لؤلؤاً»؛ كقوله: «وحورا عيناً»، و«لؤلؤاً»: بقلب الهمزة الثانية واواً، ونولياً؛ بقلبها واوين، ثم بقلب الثانية ياء كأدل، ولول كأدل فيمن جز، ولؤلؤ، وليليا، بقلبها ياءين، عن ابن عباس: وهدهم الله وألهمهم أن يقولوا: الحمد لله الذي صدقنا وعده، وهدهم إلى طريق الجنة، يقال: فلان يحسن إلى الفقراء وينعش المضطهدين، لا يراد حال ولا استقبال؛ وإنما يراد استمرار وجود الإحسان منه والنعشة في جميع أزمنته وأوقاته؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: الصدود منهم مستمر دائم، ﴿لِلنَّاسِ﴾ أي: الذين يقع عليهم اسم الناس من غير فرق بين حاضر وباد وتانيء^(٢) وطارئ ومكي وأفريقي، وقد استشهد به أصحاب أبي حنيفة قائلين: إن المراد بالمسجد الحرام: مكة، على امتناع جواز بيع دور مكة وإجارتها، وعند الشافعي: لا يمتنع ذلك،

= رواه أحمد في المسند (٢٩/٣)، وأبو يعلى في مسنده (٥٢٦/٢) رقم (١٣٨٨)، قال الهيثمي في المجموع (٤٥/١٠): «رواه أحمد وأبو يعلى وفيه ضعف وقد وثقوا» اهـ.
قال الحافظ: وهو عند أحمد وأبي يعلى من رواية ابن لهيعة عن دراج. لفظه في قوله: (ولهم مقامع من حديد): لو وضع مقمع منها في الأرض... الحديث. انتهى.

- (١) قوله «من حليت المرأة فهي حال» الذي في الصحاح: حليت المرأة، أي: صارت ذات حلي، هي حلية وحالية. (ع)
(٢) قوله «وتانيء» في الصحاح: تنأت بالبلد تنوءاً: قطنته. والتانيء من ذلك. (ع)
(تنبه) ما في نسخ الكشاف «ابن عمر» تصحيف، وإنما هو «ابن عمرو».

وقد حاور إسحاق بن راهويه؛ فاحتج بقوله: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ [الحج: ٤٠]، وقال: أنسب الديار إلى مالكيها، أو غير مالكيها، واشترى عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - دار السجن من مالكيه أو غير مالكيه، ﴿سَوَاءٌ﴾ بالنصب: قراءة حفص، والباقون على الرفع، ووجه النصب أنه ثاني مفعولي جعلناه، أي: جعلناه مستویاً، ﴿الْعَنَكُفُ فِيهِ وَالْبَادُ﴾: وفي القراءة بالرفع، الجملة مفعول ثان، الإلحاد: العدول عن القصد، وأصله: إلحاد الحافر، وقوله: ﴿بِإِلْحَادٍ يُظْلَمُ﴾: حالان مترادفتان، ومفعول (يرد): متروك ليتناول كل متناول، كأنه قال: ومن يرد فيه مراداً ما عادلاً عن القصد ظالماً، ﴿تَذِقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ يعني: أنّ الواجب على من كان فيه أن يضبط نفسه ويسلك طريق السداد والعدل في جميع ما يهّم به ويقصده، وقيل: الإلحاد في الحرم: منع الناس عن عمارته، وعن سعيد بن جبير: الاحتكار، وعن عطاء: قول الرجل في المبايعة: «لا والله، وبلى والله»، وعن عبد الله بن عمر أنه كان له فسطاطان، أحدهما: في الحل، والآخر: في الحرم، فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل، فقيل له، فقال: كنا نحدث أن من الإلحاد فيه أن يقول الرجل: «لا والله، وبلى والله» ٩٧٧، وقرئ: «يرد»: بفتح الياء من الورد، ومعناه: من أتى فيه بإلحاد ظالماً، وعن الحسن: ومن يرد إلحاده بظلم، أراد: إلحاداً فيه، فأضافه على الاتساع في الظرف، كمكر الليل، ومعناه: من يرد أن يلحد فيه ظالماً، وخبر إن: محذوف؛ لدلالة جواب الشرط عليه، تقديره: إن الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب أليم^(١)، وكل من ارتكب فيه ذنباً فهو كذلك، عن ابن مسعود: الهمة في الحرم تكتب ذنباً.

٩٧٧ - أخرجه الطبري (١٣٢/٩) رقم (٢٥٠٢٨) من طريق مجاهد عن ابن عمرو قال: كان فسطاطان... فذكره. وعزاه ابن حجر، والزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف لأبي الوليد الأزرق في تاريخ مكة. وذكره السيوطي في الدر (٦٣٤/٤)، وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن منيع =

(١) قال السمين الحلبي: الشيخ قال في تقدير الزمخشري بعد المسجد الحرام لا يصح قال، لأن الذي صفة للمسجد الحرام فموضع التقدير هو بعد والباد يعني أنه يلزم من تقديره الفصل بين الصفة والموصوف بأجنبي وهو خبر إن فيصير التركيب هكذا، إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام نذيقهم من عذاب أليم الذي جعلناه للناس، وللزمخشري أن ينفصل عن هذا الاعتراض بأن الذي جعلناه لا نسلم أنه نعت للمسجد حتى يلزم ما ذكر بل يجعله مقطوعاً عنه نصياً أو رفعاً ثم قال الشيخ لكن مقدر الزمخشري أحسن من مقدر ابن عطية لأنه يدل عليه الجملة الشرطية بعد من جهة لحظ وابن عطية لحفظ من جهة المعنى لأن من أذيق العذاب خبير وهلك. انتهى. الدر المصون.

﴿وَيَذُرْنَ آبًا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتٍ أَلَيْسَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِوَسْئِكَ وَطَهَّرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ

وَالْقَابِلِينَ وَأَذْبَحَ اسْتَجُودَ ﴿٢٦﴾

واذكر حين جعلنا ﴿إِبْرَاهِيمَ مَكَاتٍ سَبِيحًا﴾: مباءة، أي: مرجعاً يرجع إليه للعبادة والعبادة، رفع البيت إلى السماء أيام الطوفان، وكان من ياقوته حمراء، فأعلم الله إبراهيم مكانه بريح أرسلها يقال لها الخجوج، كنست ما حوله، فبناه على أسه القديم، وأن هي المفسرة.

فإن قلت: كيف يكون النهي عن الشرك والأمر بتطهير البيت تفسيراً للتبوة؟

قلت: كانت التبوة مقصودة من أجل العبادة، فكأنه قيل: تعبدنا إبراهيم قلنا له: ﴿سَبِيحًا وَطَهَّرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: من الأصنام والأوثان والأقذار أن تطرح حوله، وقرئ: «يشرك»: بالياء على الغيبة.

﴿وَأَذِنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ

عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾

﴿وَأَذِنَ فِي النَّاسِ﴾: ناد فيهم، وقرأ ابن محيصن: «وَأَذِنَ»، والنداء بالحج: أن يقول: حجوا، أو عليكم بالحج، وروي أنه صعد أبا قبيس فقال: «يا أيها الناس، حجوا بيت ربكم» (٩٧٨)، وعن الحسن أنه خطاب لرسول الله - ﷺ - أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع (٩٧٩)، ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾: مشاة جمع: راجل، كقائم وقيام، وقرئ: «رُجَالًا»: بضم الراء مخفف الجيم ومثقلة، و«رجالي» كعجالي؛ عن ابن عباس، ﴿عَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾: حال معطوفة على حال، كأنه قال: رجلاً وركباناً، ﴿سَبِيحًا﴾: صفة لكل ضامر؛ لأنه في

= وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

قال الحافظ: أخرجه الطبري والأزرقي في تاريخ مكة من رواية شعبة عن منصور عن مجاهد قال: «كان لعبد الله بن عمرو بن العاص... فذكره». انتهى.

٩٧٨ - عزاه الحافظ والزبلي في تخريج أحاديث الكشاف للثعلبي عن الحسن.

قال الحافظ: أخرجه الثعلبي عن الحسن فذكره. وسنده إليه في أول الكتاب. انتهى.

٩٧٩ - ذكره السيوطي في الدر (٤/٦٣٧)، وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: لما أمر الله إبراهيم أن ينادي في الناس بالحج صعد أبا قبيس فوضع أصبعيه في أذنيه: «إن الله كتب عليكم الحج فأجيبوا ربكم».

قال الحافظ: أخرجه الطبري عن ابن عباس، بلفظ: «قام عند الحجر»، وفي رواية: «عند مقامه». وقال: يا أيها الناس، حجوا بيت ربكم، فأجابوه: لبيك اللهم لبيك». انتهى.

قوله «والأوثان» في الصحاح «الوثن»: الصنم. (ع)

معنى الجمع، وقرئ: «يأتون»: صفة للرجال والركبان، والعميق: البعيد، وقرأ ابن مسعود: «معيق»، يقال: بئر بعيدة العمق والمعق^(١).

﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ ﴿٢٨﴾

نكر المنافع؛ لأنه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية وديوية لا توجد في غيرها من العبادات، وعن أبي حنيفة - رحمه الله - : أنه كان يفاضل بين العبادات قبل أن يحج، فلما حج فضل الحج على العبادات كلها؛ لما شاهد من تلك الخصائص، وكنتى عن النحر والذبح بذكر اسم الله؛ لأن أهل الإسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه إذا نحروا أو ذبحوا، وفيه تنبيه على أن الغرض الأصلي فيما يتقرب به إلى الله أن يذكر اسمه، وقد حسن الكلام تحسناً بيناً: أن جمع بين قوله: ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾، وقوله: ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم﴾، ولو قيل: لينحروا في أيام معلومات بهيمة الأنعام ٢٩/٢، لم تر شيئاً من ذلك الحسن والروعة، الأيام المعلومات: أيام العشر عند أبي حنيفة؛ وهو قول الحسن وقتادة، وعند صاحبيه: أيام النحر، البهيمة: مبهمة في كل ذات أربع في البر والبحر، فينت بالأنعام: وهي الإبل، وانقر، والضأن، والمعز، الأمر بالأكل منها أمر إباحة؛ لأن أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من نسائكهم، ويجوز أن يكون ندباً؛ لما فيه من مساواة الفقراء ومواساتهم ومن استعمال التواضع، ومن ثمة استحب الفقهاء أن يأكل الموسع من أضحيته مقدار الثلث، وعن ابن مسعود أنه بعث بهدي، وقال فيه: إذا نحرته فكل وتصدق وابعث منه إلى عتبة، يعني: ابنه ٩٨٠، وفي الحديث: «كُلُوا وَادَّخِرُوا وَاتَّجِرُوا»^(٢) (٩٨١).

٩٨٠ - أخرجه الطبراني في الكبير (٣٩٩/٩) رقم (٩٧٠٢): حدثنا علي بن عبد العزيز ثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن إبراهيم عن علقمة، أن عبد الله بعث معه بهدي فقال: كل أنت وأصحابك ثلثاً، وتصدق بثلث، وابعث إلى آل أخي عتبة بثلث قيل لسفيان تطوع قال: نعم. ورواه في (٢٧٦/٩) رقم (٩١٨١)، قال الهيثمي في المجمع (٢٣١/٣): «رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح» اهـ.

قال الحافظ: أخرجه الطبري من رواية حبيب بن أبي ثابت عن إبراهيم عن علقمة - أن عبد الله بعث معه بهدي. فقال: كل أنت وأصحابك ثلثاً، وتصدق بثلث، وابعث إلى أخي عتبة بثلث. تنبيه: وقع في نسخ الكشاف يعني ابنه وهو تحريف، وإنما هو أخوه. انتهى.

٩٨١ - أخرجه مالك (٤٨٤/٢) كتاب الضحايا: باب ادخار لحوم الأضاحي حديث (٧) ومن طريقه مسلم =

(١) قوله «بعيدة العمق والمعق» في الصحاح «المعق»: قلب العمق، والأمعاق: مثل الأعماق، وهو ما بعد من أطراف المفاوز. (ع)

(٢) قوله «واتتجروا» الظاهر أن المراد: اطلبوا الأجر بالصدقة. (ع)

﴿الْبَاسِ﴾: الذي أصابه بؤس، أي: شدة، و﴿الْفَقِيرَ﴾: الذي أضعفه الإعسار.

= (٣/١٥٦١) كتاب الأضاحي: باب بيان ما كان من النهي عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث في أول الإسلام وبيان نسخه وإباحته إلى متى شاء حديث (٢٨/١٩٧١) وأبو داود (٢/١٠٨ - ١٠٩) كتاب الأضاحي: باب في حبس لحوم الأضاحي رقم (٢٨١٢) والنسائي (٧/٢٣٥) كتاب الأضاحي: باب الادخار من الأضاحي (٤٤٣١) وأحمد (٦/٥١) والبيهقي (٩/٢٩٣) عن عبد الله بن أبي بكر عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة قالت: «دف أهل آيات من أهل البادية حضرة الأضحى زمان رسول الله - ﷺ - فقال: «ادخروا ثلاثاً ثم تصدقوا بما بقي»، فلما كان بعد ذلك قالوا: يا رسول الله، إن الناس يتخذون الأسفية من ضحاياهم ويحملون منها الوذك. فقال: «وما ذاك» قالوا: نهيت أن تؤكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث. فقال: «إنما نهيتكم من أجل الدافة، فكلوا وادخروا وتصدقوا».

وأخرجه الدارمي (٢/٧٩) كتاب الأضاحي: باب في لحوم الأضاحي من طريق محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن عمرة عن عائشة بنحوه وأخرجه البخاري (١٠/٢٦) كتاب الأضاحي: باب ما يؤكل من لحوم الأضاحي وما يتزود منها حديث (٥٥٧٠) والبيهقي (٩/٢٩٣) من طريق يحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة قالت: الضحية كنا نملح منه فنقدم به إلى النبي - ﷺ - بالمدينة فقال: «لا تأكلوا إلا ثلاثة أيام»، وليست بعزيمة، ولكنه أراد أن نطعم منه.

وأخرجه البخاري (٩) كتاب الأطعمة: باب ما كان السلف يدخرون في بيوتهم (٥٤٢٣)، وأحمد (٦/١٢٧ - ١٢٨)، والنسائي (٧/٢٣٥ - ٢٣٦)، كتاب الأضاحي: باب الادخار من الأضاحي (٤٤٣٣)، والبيهقي (٩/٢٩٢) من طريق عبد الرحمن بن عابس عن أبيه قال: قلت لعائشة: أنهى النبي - ﷺ - أن تؤكل لحوم الأضاحي فوق ثلاث قالت: ما فعله إلا في عام جاع الناس فيه، فأراد أن يطعم الغني الفقير، وإن كنا لرفع الكراع فنأكله بعد خمسة عشر قيل: ما اضطرركم إليه: فضحكت قالت: «ما شبع آل محمد - ﷺ - من خبز بر مادوم ثلاثة أيام حتى لحق بالله».

وأخرجه الترمذي (٤/٧٩) كتاب الأضاحي: باب في الرخصة في أكلها بعد ثلاث (١٥١١) عن عابس بن ربيعة قال: قلت لأم المؤمنين: أكان رسول الله - ﷺ - ينهى عن لحوم الأضاحي قالت: «لا ولكن قل من كان يضحي من الناس فأحب أن يطعم من لم يكن يضحي، فلقد كنا نرفع الكراع فنأكله بعد عشرة أيام».

وقال الترمذي: هذا حديث صحيح وأم المؤمنين هي عائشة زوج النبي - ﷺ - وقد روي عنها هذا الحديث من غير وجه. وفي الباب عن جماعة من الصحابة وهم أبو سعيد الخدري وسلمة بن الأكوخ وجابر وثوبان وبريدة. حديث أبي سعيد الخدري:

أخرجه البخاري (١٠/٢٦) كتاب الأضاحي: باب ما يؤكل من لحوم الأضاحي وما يتزود منها حديث (٥٥٦٨) والنسائي (٧/٢٣٣) كتاب الأضاحي: باب (٢٦) من طريق يحيى بن سعيد عن القاسم بن محمد عن ابن خباب أن أبا سعيد الخدري قدم من سفر فقدم إليه أهله لحماً من لحوم الأضاحي فقال: ما أنا بأكله حتى أسأل فانطلق إلى أخيه لأمه قتادة بن النعمان وكان يدرياً، فسأله عن ذلك فقال: إنه قد حدث بعدك أمر تقضاً لما كانوا نهوا عنه من أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاثة أيام.

= وأخرجه مسلم (٣/١٥٦٢) كتاب الأضاحي: باب بيان ما كان من النهي عن أكل لحوم الأضاحي

بعد ثلاث وبيان نسخه (١٩٧٣/٣٣)، وأحمد (٨٥/٣)، وأبو يعلى (٤١١/٢) رقم (١١٩٦)، من طريق أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله - ﷺ -: «يا أهل المدينة لا تأكلوا لحوم الأضاحي فوق ثلاث»، فشكوا إلى رسول الله - ﷺ - أن لهم عيالاً وحشماً وخداماً، فقال: «كلوا وأطعموا وادخروا».

- وللحديث طريق آخر عن أبي سعيد:

أخرجه أحمد (٢٣/٣)، والنسائي (٢٣٤/٧) كتاب الأضاحي: باب (٢٦)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (١٨٦/٤ - ١٨٧)، وأبو يعلى (٢٨١/٢) رقم (٩٩٧) من طريق سعد بن إسحاق قال: حدثني زينب بنت كعب عن أبي سعيد، أن رسول الله - ﷺ - نهى عن لحوم الأضاحي فوق ثلاثة أيام ثم رخص أن تأكل وندخره قال: فقدم قتادة بن النعمان أخو أبي سعيد فقدموا إليه قديد الأضحى، فقال: كأن هذا من قديد الأضحى قالوا: نعم. قال: أليس قد نهى عنه رسول الله - ﷺ - قال أبو سعيد: بلى إنه قد حدث فيه أمر كان نهانا عنه أن نجسه فوق ثلاثة أيام، ورخص لنا أن نأكل وندخر.

حديث سلمة بن الأكوع:

أخرجه البخاري (٢٦/١٠) كتاب الأضاحي: باب ما يؤكل من لحوم الأضاحي وما يتزود منها حديث (٥٥٦٩)، ومسلم (١٥٦٣/٣) كتاب الأضاحي: باب بيان النهي عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث وبيان نسخه حديث (١٩٧٤/٣٤) عنه قال: قال رسول الله - ﷺ -: «من ضحى منكم فلا يصبحن في بيته بعد ثلاثة شئياً فلما كان في العام المقبل قالوا: يا رسول الله ففعل كما فعلنا عام أول فقال: «لا إن ذلك عام كان الناس فيه بجهد، فأردت أن يفشوا فيه».

حديث جابر:

أخرجه البخاري (٢٦/١٠) كتاب الأضاحي: باب ما يؤكل من لحوم الأضاحي وما يتزود منها حديث (٥٥٦٧) ومسلم (١٥٦٢/٣) كتاب الأضاحي: باب بيان النهي عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث وبيان نسخه حديث (٣٠ - ٣١/٣١ - ١٩٧٢)، وأحمد (٣١٧/٣ - ٣٧٨)، والدارمي (٨٠/٢) كتاب الضحايا: باب في لحوم الأضاحي، والبيهقي (٢٩١/٩)، من طريق عطاء عن جابر قال: كنا لا نأكل من لحوم بدننا فوق ثلاث منى، فأرخص لنا رسول الله - ﷺ - أن نتزود منها ونأكل منها. وفي رواية من هذا الوجه: كنا نتزود لحوم الهدى على عهد رسول الله - ﷺ - إلى المدينة.

وأخرجه مالك (٤٨٤/٢) كتاب الضحايا: باب ادخار لحوم الأضاحي حديث (٦) ومن طريقه مسلم (١٥٦٢/٣) كتاب الأضاحي، باب: بيان النهي عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث وبيان نسخه (١٩٧٢/٢٩)، والنسائي (٢٣٣/٧) كتاب الأضاحي باب (٢٦)، وأحمد (٣٨٨/٣)، والبيهقي (٢٩١/٩) عن أبي الزبير عن جابر عن النبي - ﷺ - أنه: «نهى عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث»، ثم قال بعد: «كلوا وتزودوا وادخروا».

حديث ثوبان:

أخرجه مسلم (١٥٦٣/٣) كتاب الأضاحي: باب بيان النهي عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث وبيان نسخه حديث (١٩٧٥/٣٥)، وأحمد (١٧٧/٥)، وأبو داود (٢/٢) رقم (٢٨١٤) والنسائي في الكبرى (٤٥٨/٢)، والبيهقي (٢٩١/٩) من طريق معاوية بن صالح عن أبي الزاهري عن جبير بن نفير عن ثوبان قال: ذبح رسول الله - ﷺ - ضحيته، ثم قال: يا ثوبان أصلح لحم هذه فلم

قضاء التفث: قص الشارب والأظفار ونتف الإبط والاستحداد، والتفث: الوسخ، فالمراد: قضاء إزالة التفث، وقرئ: «وليوفوا»: بتشديد الفاء، ﴿نُدُّوهُمْ﴾: مواجب حجهم، أو ما عسى يندرونه من أعمال البر في حجهم، ﴿وَلَيَطَّوَّفُوا﴾: طواف الإفاضة، وهو طواف الزيارة الذي هو من أركان الحج، ويقع به تمام التحلل، وقيل: طواف الصدر، وهو طواف الوداع، ﴿الْعَبِيْقِ﴾: القديم؛ لأنه أول بيت وضع للناس عن الحسن، وعن قتادة: أعتق من الجبابرة، كم من جبار سار إليه ليهدمه فمنعه الله، وعن مجاهد: لم يملك قط، وعنه: أعتق من الغرق، وقيل: بيت كريم، من قولهم: عتاق الخيل والطير.

فإن قلت: قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع. قلت: ما قصد التسلط على البيت؛ وإنما تحصن به ابن الزبير، فاحتال لإخراجه ثم بناه، ولما قصد التسلط عليه أبرهة، فعل به ما فعل.

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُشْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٦﴾ حُنْفَاءَ

= أزل أطعمه منها حتى قدم المدينة.

وأخرجه مسلم (١٩٧٥/٣٦)، والدارمي (٧٩/٢) كتاب الأضاحي: باب في لحوم الأضاحي من طريق عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن ثوبان مولى رسول الله - ﷺ - قال: قال لي رسول الله - ﷺ - في حجة الوداع: «أصلح هذا اللحم» فلم يزل يأكل منه حتى بلغ المدينة. حديث بريدة:

أخرجه مسلم (١٥٦٣/٣ - ١٥٦٤) كتاب الأضاحي: باب بيان النهي عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث وبيان نسخه (١٩٧٧/٣٧)، والنسائي (٢٣٤/٧ - ٢٣٥) كتاب الأضاحي: باب (٢٦)، والترمذي (٧٩/٤)، كتاب الأضاحي: باب ما جاء في الرخصة في أكلها بعد ثلاث حديث (١٥١٠) من طريق ابن بريدة عن أبيه، قال: قال رسول الله - ﷺ -: «كنت نهيتكم عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث ليتسع ذوو الطول على من لا طول له، فكلوا ما بدا لكم وأطعموا وادخروا». وقال الترمذي: حسن صحيح.

قال الحافظ: أخرجه مسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وأحمد، وإسحاق من رواية خالد الحذاء عن أبي المليح عن عتبة قال: قال رسول الله - ﷺ -: «إنا كنا نهيناكم عن لحوم الأضاحي ألا تأكلوها فوق ثلاث لكي يسعكم، وقد جاء الله بالسعة فكلوا وادخروا واتجروا: لفظ أبي داود. وليس عند مسلم والنسائي وابن ماجه: «واتجروا»، والنسائي في رواية: «وتصدقوا»، وله شاهد عن أبي سعيد الخدري عن أحمد.

فائدة: قال في النهاية: اتجروا، أي تصدقوا طالبين للأجر، وليس هو اتجر بالإدغام من التجارة وأجاز الهروي الإدغام، واستدل عليه بقوله: «من يتجر مع هذا فيصلي معه، ولا دلالة فيه، لأنه يحتمل أن يكون من التجارة. انتهى.

لِلَّهِ عِزٌّ مُّشْرِكِينَ بِهِ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْهُ أَنْتَاءً فَتُحْطَبُ لَهُ الطَّيْرُ أَوْ يُتَهَيَّأُ بِهِ

الزُّورُ فِي مَكَانِ سَجْنٍ ﴿٢٦﴾

﴿٢٦﴾: خبر مبتدأ محذوف، أي: الأمر والشأن ذلك، كما يقدّم الكاتب جملة من كتابه في بعض المعاني، ثم إذا أراد الخوض في معنى آخر قال: هذا وقد كان كذا، والحرمة: ما لا يحل هتكه، وجميع ما كلفه الله - تعالى - بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها، فيحتمل أن يكون عاماً في جميع تكاليفه، ويحتمل أن يكون خاصاً فيما يتعلق بالحج، وعن زيد بن أسلم: الحرمات خمس الكعبة الحرام، والمسجد الحرام، والبلد الحرام، والشهر الحرام، والمحرم حتى يحل، ﴿٢٦﴾: أي: فالتعظيم خير له، ومعنى التعظيم: العلم بأنها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمرعاتها، المتلو لا يستثنى من الأنعام، ولكن المعنى: ﴿٢٦﴾: أي: تحريمه؛ وذلك قوله في سورة المائدة: ﴿حَرَّمَ عَلَيْكُمُ اتِّبَاعَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾، والمعنى: أن الله قد أحل لكم الأنعام كلها إلا ما استثناه في كتابه، فحافظوا على حدوده، وإياكم أن تحرموا ما أحل شيئاً، كتحریم عبدة الأوثان البهيرة والسائبة وغير ذلك، وأن تحلوا مما حرم الله، كإحلالهم أكل الموقوذة والميتة وغير ذلك.

لما حث على تعظيم حرّماته وأحمد من يعظمها^(ع)، أتبعه الأمر باجتناب الأوثان وقول الزور؛ لأن توحيد الله ونفي الشركاء عنه وصدق القول، أعظم الحرمات وأسبقها خطواً، وجمع الشرك وقول الزور في قران واحد، وذلك أنّ الشرك من باب الزور؛ لأنّ المشرك زاعم أنّ الوثن تحق له العبادة، فكأنه قال: فاجتنبوا عبادة الأوثان التي هي رأس الزور، واجتنبوا قول الزور كله لا تقربوا شيئاً منه؛ لتماديه في القبح والسماجة، وما ظنك بشيء من قبيلة عبادة الأوثان، وسمى الأوثان رجساً، وكذلك الخمر والميسر والأزلام، على طريق التشبيه، يعني: أنكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس وتجتنبونه، فعليكم أن تنفروا عن هذه الأشياء مثل تلك النفرة، ونبه على هذا المعنى بقوله: ﴿يُحَرِّمُ عَلَى الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ [المائدة: ٩٠]، جعل العلة في اجتنابه أنه رجس، والرجس مجتنب، ﴿٢٦﴾: بيان للرجس وتمييز له؛ كقولك: عندي عشرون من الدراهم؛ لأنّ الرجس مبهم يتناول غير شيء، كأنه قيل: فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان، والزور من الزور والازورار وهو الانحراف، كما أنّ الإفك من أفكه؛ إذا صرفه، وقيل: (قول الزور): قولهم: هذا حلال وهذا حرام، وما أشبه ذلك من افتراءهم، وقيل: شهادة الزور، عن

(ع) قوله «وأحمد من يعظمها» في الصحاح «أحمدته»: وجدته محموداً موافقاً مرضياً. (ع)

النبي - ﷺ - أنه صلى الصبح، فلما سلم قام قائماً واستقبل الناس بوجهه، وقال: «عَدَلْتُ شَهَادَةَ الزُّورِ الْإِشْرَاكَ بِاللَّهِ، عَدَلْتُ شَهَادَةَ الزُّورِ الْإِشْرَاكَ بِاللَّهِ، عَدَلْتُ شَهَادَةَ الزُّورِ الْإِشْرَاكَ بِاللَّهِ» ٩٨٢ ح، وتلا هذه الآية، وقيل: الكذب والبهتان، وقيل: قول أهل الجاهلية في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك، يجوز في هذا التشبيه أن يكون من المركب والمفرق، فإن كان تشبيهاً مركباً فكأنه قال: من أشرك بالله، فقد أهلك نفسه إهلاكاً ليس بعده نهاية، بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاخطفته الطير، ففرق مزعاً^(١) في حواصلها، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح^(٢) البعيدة، وإن كان مفرقاً فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء، والذي ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء، والأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة، والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة^(٣)، وقرئ: «فتخطفه»: بكسر الخاء والطاء، وبكسر التاء مع كسرهما؛

٩٨٢ - روي من حديث خريم بن فاتك. رواه أبو داود (٣٢٩/٢) كتاب الأفضية، باب في شهادة الزور حديث (٣٥٩٩) حدثنا يحيى بن موسى البلخي ثنا محمد بن عبيد حدثني سفيان - يعني العصفري - عن أبيه عن حبيب بن النعمان الأسدي عن خريم بن فاتك قال: صلى رسول الله - ﷺ - صلاة الصبح، فلما انصرف قام قائماً فقال: عدلت شهادة الزور بالإشراك بالله ثلاث مرار، ثم قرأ: ﴿فَأَجْتَبِئُوا الرَّجْحَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَبِئُوا قَوْلَ الزُّورِ حُنْفَاءَ اللَّهِ عِبْرٌ مُتْرِكِينَ بِهِ﴾.

ورواه الترمذي (٥٤٧/٤) كتاب الشهادات، باب ما جاء في شهادة الزور حديث (٢٣٠٠)، وابن ماجه (٧٩٤/٢) كتاب الأحكام، باب شهادة الزور (٢٣٧٢)، وأحمد في المسند (٣٢١/٤) - (٣٢٢)، والطبراني في الكبير (٢٠٩/٤) رقم (٤١٦٢)، والبيهقي في الشعب (٢٢٣/٤) رقم (٤٨٦١)، والطبري في التفسير (١٤٤/٩) رقم (٢٥١٣٦)، وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣٨٣/٢) لابن أبي شيبة وإسحاق بن راهويه في مسندهما.

ثم قال: «وعزاه المنذري في مختصره للترمذي ولم أجده ولا عزاه ابن عساكر في الأطراف إليه، بل عزاه لأبي داود وابن ماجه فقط» اهـ.

قلت: لم تفرد الحافظ في التلخيص للترمذي أيضاً، بل عزاه لأبي داود وابن ماجه وأحمد فقط، ومع ذلك فالحديث رواه الترمذي كما سبق رقم (٢٣٠٠) كتاب الشهادات، باب شهادة الزور قال: حدثنا عبد بن حميد حدثنا محمد بن عبيد حدثنا سفيان وهو ابن زياد العصفري عن أبيه عن حبيب بن النعمان الأسدي عن خريم بن فاتك الأسدي به مرفوعاً.

(١) قوله «مزعاً» مفردة «مزعاً» بالضم. أي: قطعة لحم كما في الصحاح. (ع)

(٢) قوله «والمطاوح» أي المقاذف. وطاح يطوح ويطيح: هلك وسقط. وطوحته الطوايح: قذفته الفواذف، كذا في الصحاح أيضاً. (ع)

(٣) قال محمود: «يجوز في هذا التشبيه أن يكون مركباً ومفرقاً، فإن كان مركباً فكأنه قال: من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكاً ليس بعده نهاية، بأن صور حاله بصورة من خر من السماء فاخطفته

وهي قراءة الحسن، وأصلها ٢/٢٩ ب تختطفه، وقرئ: «الرياح».

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعْبَكَ اللَّهُ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٢٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى

والحديث رواه الترمذي (٥٤٧/٤)، كتاب الشهادات، باب شهادة الزور حديث (٢٢٩٩).
وابن جرير الطبري (١٤٤/٩ - ١٤٥) رقم (٢٥١٣٧) عن أيمن بن خريم أن النبي - ﷺ - قام
خطيباً... فذكر الحديث.

قال الترمذي: «وهذا حديث غريب إنما نعرفه من حديث سفيان بن زياد، واختلفوا في رواية
الحديث عن سفيان بن زياد ولا نعرف لأيمن بن خريم سماعاً من النبي - ﷺ - وقد اختلفوا في
رواية هذا الحديث عن سفيان بن زياد».

قال الحافظ: أخرجه أبو داود، وأحمد، وإسحاق، وابن أبي شيبة من رواية سفيان بن زياد
العصفري عن أبيه عن حبيب بن النعمان عن خريم بن فاتك. وأخرجه الترمذي من رواية العصفري
عن فاتك بن فضالة عن أنس بن خريم كذا قال. انتهى.

الطير فصيرته مزعاً في حواصلها، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة،
وإن كان مفرقاً فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء «والذي ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من
السماء، وشبه الأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة، والشيطان الذي يطوح به في وادي
الضلالة بالريح نهوي بما عصفت به في بعض المهاري المتلفة» قال أحمد: أما على تقدير أن يكون
مفرقاً، فيحتاج تأويل تشبيه المشرك بالهاري من السماء إلى التنبية على أحد أمرين: إما أن يكون
الإشراك المراد رده، فإنه حينئذ كمن علا إلى السماء بإيمانه ثم هبط بارتداده. وإما أن يكون
الإشراك أصلياً، فيكون قد عد تمكن المشرك من الإيمان ومن العلوه به ثم عدوله عنه اختياراً،
بمنزلة من علا إلى السماء ثم هبط كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ اللَّعَنُونَ يُعْرَجُونَ مِنْ
النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ فعدهم مخرجين من النور وما دخلوه قط، ولكن كانوا متمكنين منه. وقد مضى
تقرير هذا المعنى بأبسط من هذا. وفي تقريره تشبيه الأفكار المتوزعة للكافر بالطير المختطفة، وفي
تشبيه تطويح الشيطان بالهوى مع الريح في مكان سحيق: نظر؛ لأن الأمرين ذكرا في سياق تقسيم
حال الكافر إلى قسمين، فإذا جعل الأول مثلاً لاختلاف الأهواء والأفكار. والثاني مثلاً لنزغ
الشيطان: فقد جعلهما شيئاً واحداً، لأن توزع الأفكار واختلاف الأهواء، مضاف إلى نزغ الشيطان،
فلا يتحقق التقسيم المقصود. والذي يظهر في تقرير التشبيهين غير ذلك، فنقول: لما انقسمت حال
الكافر إلى قسمين لا مزيد عليهما، الأول منهما: المتذبذب والمتماذي على الشك وعدم التصميم
على ضلالة واحدة، فهذا القسم من المشركين مشبه من اختطفته الطير وتوزعته فلا يستولي طائر
على مزعة منه إلا انتهبها منه آخر، وذلك حال المذبذب لا يلوح له خيال إلا اتبعه ونزل عما كان
عليه. والثاني مشرك مصمم على معتقد باطل، لو نشر بالمناشير لم يكع ولم يرجع لا سبيل إلى
نشكيكه ولا مطعم في نقله عما هو عليه، فهو فرح مبتهج لضلالته، فهذا مشبه في إقراره على كفره
باستقرار من هوت به الريح إلى واد سافر فاستقر فيه. ونظير تشبيهه بالاستقرار في الوادي السحيق
الذي هو أبعد الأحياء عن السماء: وصف ضلاله بالبعد في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾
«وَضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا» أي صمموا على ضلالهم فبعد رجوعهم إلى الحق، فهذا تحقيق القسمين،
والله أعلم.

تُرَّحَّلَهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾

تعظيم الشعائر - وهي الهدايا؛ لأنها من معالم الحج - : أن يختارها عظام الأجرام حسناً سماتاً غالية الأثمان، ويترك المكاس في شرائها، فقد كانوا يغالون في ثلاث - ويكرهون المكاس فيهنّ - : الهدى، والأضحية، والرقة، وروى ابن عمر عن أبيه - رضي الله عنهما - أنه أهدى نجبية طلبت منه بثلاثمائة دينار، فسأل رسول الله - ﷺ - أن يبيعهها ويشتري بشمئها بدنأ، فنهاه عن ذلك، وقال: «بَلْ أَهْدِيهَا» (٩٨٣)، وأهدى رسول الله - ﷺ - مائة بدنة، فيها جمل لأبي جهل في أنفه بزة من ذهب (٩٨٤)، وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطي^(١)، فيتصدق بلحومها وبجلالها (٩٨٥)، ويعتقد أن طاعة الله في التقرب بها وإهدائها إلى بيته المعظم أمر عظيم لا بد أن يقام به ويسارع فيه، ﴿فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ أي: فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب، فحذفت هذه

٩٨٣ - قال الحافظ: تقدم الكلام عليه في أثناء سورة البقرة. انتهى.

٩٨٤ - أخرجه البخاري (٥٥٧/٣)، كتاب الحج: باب يتصدق بجلال البدن، حديث (١٧١٨)، من حديث علي قال: «أهدى النبي - ﷺ - مائة بدنة فأمرني بلحومها فقسمتها ثم أمرني بجلالها فقسمتها ثم بجلودها فقسمتها».

وهو في صحيح مسلم (٩٥٤/٢): كتاب الحج، باب في الصدقة بلحومها الهدى وجلودها وجلالها، حديث (١٣٦٧/٣٤٨)، دون ذكر العدد.

وأخرجه أيضاً أبو داود (١٧٦٩)، وابن ماجه (٣٠٩٩)، والدارمي (٣٩٩/١)، وابن الجارود (٤٨٢)، وابن خزيمة (٢٩٥/٤)، والبيهقي (٢٩٤/٩)، من طريق مجاهد، عن ابن أبي ليلي، عن علي به.

قال الحافظ: أخرجه إسحاق واليزار من حديث علي، وفي الباب عن جابر قال: كان جميع ما جاء به مائة بدنة فيها جمل في أنفه برة من فضة أخرجه الحاكم والطبراني من رواية زيد بن الحباب عن الثوري عن جعفر بن محمد عن أبيه عنه قال البخاري: هذا خطأ من زيد. وإنما هو عن الثوري عن أبي إسحاق عن مجاهد مسلماً. وقد جاء عن مجاهد عن ابن عباس قال: «أهدى رسول الله - ﷺ - في هداياه جملاً كان لأبي جهل في رأسه برة من ذهب، ليغيظ به المشركين» أخرجه أبو داود والحاكم وأبو يعلى والطبراني. انتهى.

٩٨٥ - أخرجه مالك في الموطأ (٣٧٩/١) كتاب الحج، باب العمل في الهدى حين يساق حديث (١٤٦). وعزه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣٨٦/٢)، لابن أبي شيبه في المصنف، وأبي الوليد الأزرق في تاريخ مكة.

قال الحافظ: أخرجه مالك في الموطأ عن نافع عنه بهذا وأتم منه - ورواه ابن أبي شيبه من طريق فليح عن نافع نحوه. انتهى.

(١) قوله «مجللة بالقباطي» في الصحاح: القبط أهل مصر. والقبطية: ثياب بيض رفاق من كتان تتخذ بمصر والجمع قباطي. (ع)

المضافات، ولا يستقيم المعنى إلا بتقديرها؛ لانه لا بد من راجع من الجزاء إلى: (من)؛ ليرتبط به؛ وإنما ذكرت القلوب لأنها مراكز التقوى التي إذا ثبتت فيها وتمكنت، ظهر أثرها في سائر الأعضاء، ﴿إِنَّ أَجَلَ نَسَمِي﴾: إلى أن تنحر ويتصدق بلحومها ويؤكل منها، و﴿ثُمَّ﴾: للتراخي في الوقت، فاستعيرت للتراخي في الأحوال، والمعنى: أن لكم في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم؛ وإنما يعتد الله بالمنافع الدينية؛ قال سبحانه: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [الأنفال: ٦٧]، وأعظم هذه المنافع وأبعدها شوطاً في النفع: ﴿مَجْلَاهَا إِلَى الْبَيْتِ﴾، أي: وجوب نحرها، أو وقت وجوب نحرها في الحرم منتبهة إلى البيت؛ كقوله: ﴿هَدْيًا بَلِغَ الْكَمْبُوتِ﴾ [المائدة: ٩٥]، والمراد: نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت؛ لأن الحرم هو حريم البيت؛ ومثل هذا في الاتساع قولك: بلغنا البلد، وإنما شارفتومه واتصل مسيركم بحدوده، وقيل: المراد بالشعائر: المناسك كلها، و(محلها إلى البيت العتيق): ياباه.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَيْمَتِهِ الْأَنْعَامِ فَإِنَّهَا كُفْرٌ إِلَهِهِ وَحَدُّ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا آصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾

شرع الله لكل أمة أن ينسكوا له، أي: يذبحوا لوجهه على وجه التقرب، وجعل العلة في ذلك أن يذكر اسمه تقدست أسماؤه على النسائك، وقرئ: (منسكا): بفتح السين وكسرها، وهو مصدر بمعنى: النسك، والمكسور يكون بمعنى: الموضع، ﴿فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾ أي: أخلصوا له الذكر خاصة، واجعلوه لوجهه سالما، أي: خالصاً لا تشوبه بإشراك.

المخبتون: المتواضعون الخاشعون، من الخبت وهو المظتمن من الأرض، وقيل: هم الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا، وقرأ الحسن: (والمقيم الصلاة): بالنصب على تقدير النون، وقرأ ابن مسعود: «والمقيم الصلاة»: على الأصل.

﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعْتِيرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَأَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجِئَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَالْبُدْنَ﴾: جمع بدنة؛ سميت لعظم بدنها وهي الإبل خاصة، ولأن رسول الله ﷺ - ألحق البقر بالإبل حين قال: «الْبُدْنَةُ عَنْ سَبْعَةٍ، وَالْبَقَرَةُ عَنْ سَبْعَةٍ» (٩٨٦)، فجعل البقر في حكم الإبل، صارت البدنة في الشرعية متناولة للجنسين

٩٨٦ - أخرجه مالك (٤٨٦/٢) كتاب الضحايا - باب الشركة في الضحايا حديث (٩)، وأحمد (٣/٣٥٣) =

عند أبي حنيفة وأصحابه، وإلا فالبدن هي الإبل وعليه تدل الآية، وقرأ الحسن: «والبدن»:

= (٣٦٣ - ٢) مسلم (٩٥٥/٢) كتاب الحج - باب الإشراك في الهدى - حديث (١٣١٨/٣٥٠). وأبو داود (٢٣٩/٣ - ٢٤٠) كتاب الضحايا - باب في البقر والجزور عن كم تجزى حديث (٢٨٠٩)، والترمذي (٨٩/٤) كتاب الأضاحي باب ما جاء في الاشتراك في الأضحية حديث (١٥٠٢)، وابن ماجه (١٠٤٧/٢) كتاب الأضاحي - باب عن كم تجزى البدنة والبقرة حديث (٣١٣٢)، والبيهقي (٢٩٤/٩) كتاب الضحايا - باب الاشتراك في الهدى والأضحية.

من طريق أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال: نحرنا مع رسول الله - ﷺ - عام الحديبية البدنة عن سبعة، والبقرة عن سبعة.

وأخرجه مسلم (٩٥٥/٢) كتاب الحج: باب الاشتراك في الهدى... حديث (١٣١٨/٣٥٣) وأحمد (٣٧٨/٣) وابن الجارود (٤٧٩) وابن خزيمة (٢٨٧/٤ - ٢٨٨) رقم (٢٩٠٠) والبيهقي (٩/٢٩٥) كتاب الضحايا: باب الاشتراك في الهدى والأضحية من طريق ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر قال: «اشتركتنا مع النبي - ﷺ - في الحج والعمرة، كل سبعة في بدنة، فقال رجل لجابر: يشترك في البدنة ما يشترك في الجزور قال: ما هي إلا من البدن».

وأخرجه ابن خزيمة (٢٨٨/٤) رقم (٢٩٠١) من طريق عمرو بن الحارث ومالك بن أنس عن أبي الزبير عن جابر به.

وأخرجه مسلم (٩٥٥/٢) كتاب الحج: باب الاشتراك في الهدى - حديث (١٣١٨/٣٥٢) من طريق عزرة بن ثابت عن أبي الزبير عن جابر وأخرجه أيضاً (١٣١٨/٣٥١) من طريق زهير بن معاوية عن أبي الزبير عن جابر ورواه من هذا الطريق أيضاً أحمد (٢٩٢/٣) والبيهقي (٥/٢٩٥ - ٢٩٦)، وقد توبع أبو الزبير على هذا الحديث تابعه عطاء بن أبي رباح وأبو سفيان والشعبي وسليمان بن قيس - متابعة عطاء:

أخرجها مسلم (٩٥٦/٢) كتاب الحج: باب الاشتراك في الهدى، حديث (١٣١٨/٣٥٥)، وأبو داود (١٠٨/٢) كتاب الضحايا: باب في البقر والجزور حديث (٢٨٠٧)، والنسائي (٧/٢٢٢) كتاب الضحايا: باب ما تجزى عنه البقرة في الضحايا، وأحمد (٣/٢٦٣)، والدارقطني (٢/٤٧) العيدين، وابن خزيمة (٢٨٨/٤) رقم (٢٩٠٢). وأبو يعلى (٤/٣١) رقم (٢٠٣٤)، والبيهقي (٩/٢٩٥) من طريق هشيم عن عبد الملك عن عطاء عن جابر قال: «كنا نتمتع مع رسول الله - ﷺ - بالعمرة فنذبح البقرة عن سبعة نشترك فيها».

متابعة أبي سفيان:

أخرجها أحمد (٣/٣١٦) من طريق الأعمش عن أبي سفيان عن جابر به.

متابعة عامر الشعبي:

أخرجه أحمد (٣/٣٣٥) والدارقطني (٢/٢٤٣ - ٢٤٤) من طريق مجالد بن سعيد عن الشعبي عن جابر به. ومجالد بن سعيد فيه ضعف.

متابعة سليمان بن قيس:

أخرجها أحمد (٣/٣٥٣ - ٣٦٤) والطيالسي (١/٢٢٩ - منحة) رقم (١١٠٣) من طريق أبي عوانة حدثنا أبو بشر عن سليمان بن قيس عن جابر به.

قال الحافظ: لم أره مرفوعاً من لفظه. نعم أخرجه أبو داود بلفظ: «الجزور عن سبعة»، وأخرجه مسلم وأصحاب السنن من رواية مالك عن أبي الزبير عن جابر قال: «نحرنا مع رسول الله - ﷺ - البدنة عن سبعة، والبقرة عن سبعة» وفي الباب عن ابن مسعود عند الطبراني. انتهى.

بضمتين، كشمز في جمع ثمرة، وابن أبي إسحاق بالضميتين وتشديد النون على لفظ الوقف، وقرئ بالنصب والرفع؛ كقوله: ﴿وَأَلْقَمَرَ قَدْرَتَهُ﴾ [يس: ٣٩]، ﴿مِنْ سَعَابِرِ اللَّهِ﴾ أي: من أعلام الشريعة التي شرعها الله، وإضافتها إلى اسمه؛ تعظيم لها، ﴿لَكَرَّ فِيهَا خَيْرٌ﴾؛ كقوله: ﴿لَكَرَّ فِيهَا مَنَفَعٌ﴾ [الحج: ٣٣]، ومن شأن الحاج أن يحرص على شيء فيه خير ومنافع بشهادة الله، عن بعض السلف أنه لم يملك إلا تسعة دنانير، فاشترى بها بدنة، فقبل له في ذلك، فقال: سمعت ربي يقول: ﴿لَكَرَّ فِيهَا خَيْرٌ﴾ [الحج: ٣٦]، وعن ابن عباس: دنيا وآخرة، وعن إبراهيم: من احتاج إلى ظهرها ركب، ومن احتاج إلى لبنها شرب، وذكر اسم الله: أن يقول عند النحر: الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، اللهم، منك وإليك، ﴿صَوَافٌ﴾: قائمات، قد صففن أيديهن وأرجلهن، وقرئ: «صوافن»: من صفون الفرس، وهو: أن يقوم على ثلاث وينصب الرابعة على طرف سنبله؛ لأن البدنة تعقل إحدى يديها تقوم على ثلاث، وقرئ: «صوافي»، أي: خوالص لوجه الله، وعن عمرو بن عبيد: «صوافناً»: بالتثنية عوضاً من حرف الإطلاق عند الوقف، وعن بعضهم: صواف^(١)؛ نحو مثل العرب، أعط القوس باريها، بسكون الياء.

وجوب الجنوب: وقوعها على الأرض، من وجب الحائط وجبة إذا سقط، ووجبت الشمس جبة: غربت، والمعنى: فإذا وجبت جنوبها وسكنت نسايسها^(٢) حل لكم الأكل منها والإطعام، ﴿الْقَانِعُ﴾: السائل، من قنعت إليه وكنتت: إذا خضعت له وسألته فتوعاً ﴿وَالْمُعْتَرِّ﴾: المعترض بغير سؤال، أو القانع الراضي بما عنده وبما يعطى من غير سؤال، من قنعت فتعاً وقناعة، والمعتر: المعترض بسؤال، وقرأ المحسن: والمعتري، وعزه وعراه واعتراه واعتره: بمعنى، وقرأ أبو رجاء: «القنع»، وهو الراضي لا غير، يقال: قنع فهو قنع وقانع.

مَنْ اللهُ عَلَى عِبَادِهِ وَاسْتَحْمَدَ إِلَيْهِمْ بَأْنَ سَخِرَ لَهُمُ الْبَدْنَ مِثْلَ التَّسْخِيرِ الَّذِي رَأَوْا وَعَلِمُوا، يَأْخُذُونَهَا مَنَقَادَةً لِلْأَخْذِ طَبِيعَةً فَيَعْقِلُونَهَا وَيَجْبِسُونَهَا صَافَةً قَوَائِمَهَا، ثُمَّ يَطْعَنُونَ فِي لَبَانِهَا، وَلَوْلَا تَسْخِيرُ اللَّهِ لَمْ تَطْقُ، وَلَمْ نَكُنْ بِأَعْجَزَ مِنْ بَعْضِ الْوَحُوشِ الَّتِي هِيَ أَصْغَرُ مِنْهَا جَرْمًا وَأَقْلَ ٢/٣٠ قُوَّةً، وَكَفَى بِمَا يَتَأَبَّدُ مِنَ الْإِبِلِ شَاهِدًا وَعِبْرَةً.

﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤَهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ النَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِشُكْرِكُمْ﴾

(١) قوله «صواف» لعله: صوافي، بالسكون. (ع)

(٢) قوله «وسكنت نسايسها» في الصحاح «النسيمة، والنسيس» الإيكال بين الناس، والنسايس: النعائم والنسيس: بقية الروح. وفيه أيضاً «الإيكال بين الناس» السعي بينهم. (ع)

إذن لهم في القتال، فحذف المأذون فيه؛ لدلالة يقاتلون عليه، ﴿يَأْتَهُمْ ظُلْمًا﴾ أي: بسبب كونهم مظلومين وهم أصحاب رسول الله - ﷺ -: كان مشركو مكة يؤذونهم أذى شديداً، وكانوا يأتون رسول الله - ﷺ -: من بين مضروب ومشجوب يتظلمون إليه، فيقول لهم: «أَصْبِرُوا؛ فَإِنِّي لَمْ أُرْمَزْ بِالْقِتَالِ» ح حَتَّى هاجر؛ فأنزلت هذه الآية (٩٨٧)، وهي أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهى عنه في نيف وسبعين آية، وقيل: نزلت في قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركو مكة فأذن لهم في مقاتلتهم، والأخبار بكونه قادراً على نصرهم عدة منه بالنصر واردة على سنن كلام الجبارة، وما مر من دفعه عن الذين آمنوا مؤذنين بمثل هذه العدة، أيضاً، ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾: في محل الجز على الإبدال من (حق) أي: بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب الإقرار والتمكين لا موجب الإخراج والتسيير، ومثله: ﴿هَلْ تَتَّقُونَ مِمَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ [المائدة: ٥٩].

دفع الله بعض الناس ببعض: إظهاره وتسليطه المسلمين منهم على الكافرين بالمجاهدة، ولولا ذلك لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة في أزمته، وعلى متعبداتهم فهدموها، ولم يتركوا للنصارى بيعاً، ولا لرهبانهم صوامع، ولا لليهود صلوات، ولا للمسلمين مساجد، أو لغلب المشركون من أمة محمد - ﷺ - على المسلمين وعلى أهل الكتاب الذين في ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين، وقرئ: «دفاع»، و«لهدمت»: بالتخفيف، وسميت الكنيسة «صلاة»، لأنه يصلى فيها، وقيل: هي كلمة معربة، أصلها بالعبرانية: صلوتنا، ﴿مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ أي: ينصر دينه وأوليائه: هو إخبار من الله - عز وجل - بظهور الغيب عما ستكون عليه سيرة المهاجرين - رضي الله عنهم - إن مكنتهم

٩٨٧ - قال الحافظ لم أجده هكذا. وقال الزيلعي (١/٣٨٨): «غريب جداً، وعزاه الواحد في الوسيط للمفسرين».

قال الواحدي (٣/٢٧٣): «قال المفسرون كان مشركو أهل مكة يؤذون أصحاب النبي - ﷺ - فلا يزالون يجيئون من بين مضروب ومشجوب، ويشكون ذلك فيقول لهم النبي - ﷺ - «اصبروا فإنني لم أومر بالقتال حتى هاجر» فأنزل الله هذه الآية اهـ».

قال الحافظ: لم أجده هكذا. وعزاه الواحد في الوسيط للمفسرين. قلت: هو منتزع من أحاديث: أقربها ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق بكر بن معروف عن مقاتل بن حيان قوله: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾، وذلك أن مشركي أهل مكة كانوا يؤذون المسلمين بمكة، فاستأذنا النبي - ﷺ - في قتالهم بمكة. فنهاهم النبي - ﷺ - عن ذلك فلما خرج النبي - ﷺ - إلى المدينة أنزل الله عليه: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾، وذكر الطبري أن الصحابة - رضي الله عنهم - استأذنا رسول الله - ﷺ - في قتال الكفار إذا رأوهم وسطوا عليهم بمكة قبل الهجرة غيلة وعسرا: فأنزل الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾، فلما هاجروهم أحلوهما مالهم وقتالهم فقال: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ﴾ الآية. انتهى.

في الأرض وبسط لهم في الدنيا، وكيف يقومون بأمر الدين، وعن عثمان - رضي الله عنه -: هذا والله ثناء قبل بلاء، يريد: أن الله قد أثنى عليهم قبل أن يحدثوا من الخير ما أحدثوا، وقالوا: فيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين؛ لأن الله لم يعط التمكين ونفاذ الأمر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين، لاحظ في ذلك للأنتصار والطلاق، وعن الحسن: هم أمة محمد - ﷺ - وقيل: ﴿الَّذِينَ﴾: منصوب بدل من قول من ينصره، والظاهر أنه مجرور، تابع للذين أخرجوا، ﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ أي: مرجعها إلى حكمه وتقديره، وفيه تأكيد لما وعده من إظهار أوليائه وإعلاء كلمتهم.

﴿وَبِئْسَ الْكَاذِبُونَ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٦﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٧﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٨﴾﴾

يقول لرسوله - ﷺ - تسلية له: لست بأوحدى في التكذيب؛ فقد كذب الرسل قبلك أقوامهم، وكفالك بهم أسوة.

فإن قلت: لم قيل: ﴿وَكَذَّبَ مُوسَىٰ﴾، ولم يقل: وقوم موسى؟

قلت: لأن موسى ما كذبه قومه بنو إسرائيل؛ وإنما كذبه غير قومه وهم القبط، وفيه شيء آخر، كأنه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم، وكذب موسى - أيضاً - مع وضوح آياته^(١)، وعظم معجزاته، فما ظنك بغيره؟

النكير: بمعنى الإنكار والتغيير، حيث أبدلهم بالنعمة محنة، وبالحياة هلاكاً، وبالعمارة خراباً.

﴿فَكَانَ مِن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَبْرِ مِعْطَلَةٍ ﴿٤٩﴾ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٥٠﴾﴾

كل مرتفع أظلك من سقف بيت أو خيمة أو ظللة أو كرم، فهو «عرش»، والخاوي:

(١) قال محمود: فإن قلت: لم قيل وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى بدون تكرير التكذيب؟ قلت: لأن قوم موسى هم بنو إسرائيل ولم يكذبوه، وإنما كذبه القبط. أو لأن آيات موسى كانت باهرة ظاهرة فكانه قال: وكذب موسى أيضاً على ظهور آياته، قال أحمد: ويحتمل عندي - والله أعلم - أنه لما صدر الكلام بحكاية تكذيبهم ثم عدد أصناف المكذبين وطوائفهم ولم ينته إلى موسى إلا بعد طول الكلام، حسن تكريره ليلي قوله: ﴿فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ فيتصل المسبب بالسبب، كما قال في آية ق بعد تعديدهم ﴿كُلُّ كَذَّبٍ أُرْسِلَ لِحَقِّ وَعِيدٍ﴾ فربط العقاب والوعيد ووصلهما بالتكذيب، بعد أن جدد ذكره، والله أعلم.

الساقط، ٢/ ٣٠ ب من خوى النجم إذا سقط، أو الخالي: من خوى المنزل: إذا خلا من أهله، وخوى بطن الحامل، وقوله: ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾: لا يخلو من أن يتعلق بخاوية، فيكون المعنى أنها ساقطة على سقوفها، أي: خرت سقوفها على الأرض، ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف، أو أنها ساقطة أو خالية مع بقاء عروشها وسلامتها، وإما أن يكون خيراً بعد خبر، كأنه قيل: هي خالية، وهي على عروشها، أي: قائمة مطلة على عروشها، على معنى: أن السقوف سقطت إلى الأرض فصارت في قرار الحيطان وبقيت الحيطان مائلة فهي مشرفة على السقوف الساقطة.

فإن قلت: ما محل الجمليتين من الإعراب، أعني: (وهي ظالمة، فهي خاوية)؟

قلت: الأولى: في محل نصب على الحال، والثانية: لا محل لها، لأنها معطوفة على أهلكتناها، وهذا الفعل ليس له محل، قرأ الحسن: «معطلة»: من أعطله، بمعنى: عطله، ومعنى المعطلة: أنها عامرة فيها الماء، ومعها آلات الاستقاء؛ إلا أنها عطلت، أي: تركت لا يستقى منها لهلاك أهلها، والمشيد: المجصص أو المرفوع البنيان، والمعنى: كم قرية أهلكتنا؟ وكم بئر عطلنا عن سقاتها؟ وقصر مشيد أخليناه عن ساكنيه؟ فترك ذلك؛ لدلالة معطلة عليه، وفي هذا دليل على أن (على عروشها) بمعنى: «مع» أوجه، روي أن هذه بئر نزل عليها صالح - عليه السلام - مع أربعة آلاف نفر ممن آمن به، ونجاهم الله من العذاب، وهي بحضرموت؛ وإنما سميت بذلك لأن صالحاً حين حضرها مات، وثمة بلدة عند البئر اسمها: «حاضوراء» بناها قوم صالح، وأمرؤا عليهم جلس بن جلاس، وأقاموا بها زماناً ثم كفروا وعبدوا صنماً، وأرسل الله إليهم حنظلة بن صفوان نبياً فقتلوه، فأهلكهم الله، وعطل بئرهم، وخرب قصرهم.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى

الْأَبْصَارَ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

يحتمل أنهم لم يسافروا فحثوا على السفر؛ ليروا مصارع من أهلكهم الله بكفرهم، ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا، وأن يكونوا قد سافروا ورأوا ذلك ولكن لم يعتبروا، فجعلوا كأن لم يسافروا ولم يروا، وقرئ: ﴿فيكون لهم قلوب﴾: بالياء، أي: يعقلون ما يجب أن يعقل من التوحيد، ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي، ﴿فإنها﴾، الضمير: ضمير الشأن والقصة، يجيء مذكراً ومؤنثاً، وفي قراءة ابن مسعود: «فإنه»، ويجوز أن يكون ضميراً مبهما يفسره: ﴿الأنصُرُ﴾، وفي تعمي ضمير راجع إليه، والمعنى: أن أبصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها؛ وإنما العمى بقلوبهم، أولاً يعتد بعَمَى الأبصار، فكأنه ليس بعَمَى بالإضافة إلى عمى القلوب.

فإن قلت: أي فائدة في ذكر الصدور؟

قلت: الذي قد تعورف واعتقد أن العمى على الحقيقة مكانه البصر، وهو أن تصاب الحدقة بما يطمس نورها، واستعماله في القلب استعارة ومثل، فلما أريد إثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة العمى إلى القلوب حقيقة ونفيه عن الأبصار، احتاج هذا التصوير إلى زيادة تعيين وفضل تعريف؛ ليتقرر أن مكان العمى هو القلوب لا الأبصار، كما تقول: ليس المضاء للسيف، ولكنه للسانك الذي بين فكيك، فقولك: «الذي بين فكيك»: تقرير لما ادّعيته للسانه وتثبيت؛ لأن محلّ المضاء هو لا غير، وكأنك قلت: ما نفيت المضاء عن اسيف وأثبتته للسانك فلتة ولا سهواً مني، ولكن تعمدت به إياه بعينه تعمداً.

﴿وَسْتَجْلِبُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ وَعَدُوٌّ وَإِنَّكَ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَنِّ مِنْ قَرِيْبَةٍ أَمَلَيْتُ مَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ لِمَا أُخَذَتْهَا وَإِنَّكَ الْمَصِيْرُ ﴿٤٨﴾﴾

أنكر استعجالهم بالمتوعد به من العذاب العاجل أو الآجل، كأنه قال: ولم يستعجلون به؟ كأنهم يجوزون الموت؛ وإنما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف، والله - عز وعلأ - لا يخلف الميعاد وما وعده ليصيبينهم ولو بعد حين، وهو سبحانه حلیم لا يعجل، ومن حلمه ووقاره واستقصاره المدد الطوال أن يوماً واحداً عنده كألف سنة^(١) عندكم، وقيل: معناه كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من أيام عذابه في طول ألف سنة من سنينكم؛ لأن أيام الشدائد مستطالة، أو كأن ذلك اليوم الواحد لشدة عذابه كألف سنة من سني العذاب، وقيل: ولن يخلف الله وعده في النظرة والإمهال، وقرئ: «تعدون»: بالثناء والياء، ثم قال: وكم من أهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد أنظرتهم حيناً ثم أخذتهم بالعذاب والمرجع إليّ وإلى حكمي.

فإن قلت: لم كانت الأولى معطوفة بالفاء، وهذه بالواو؟

قلت: الأولى وقعت بدلاً من قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾، وأما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو، أعني قوله: ﴿وَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ وَعَدُوٌّ وَإِنَّكَ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾.

(١) قال محمود: «فيه إيذان بحلم الله تعالى ووقاره واستقصاره الأمد الطويل حتى إن يوماً واحداً عنده كألف سنة» قال أحمد: الوقار المقرون بالحلم يفهم لغة: السكون وطمانينة الأعضاء عند المزعجات والأناة والتؤدة، ونحو ذلك مما لا يطلق على الله تعالى إلا بتوقيف. وأما الوقار في قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ فقد فسر بالعظمة فليس من هذا، وعلى الجملة فهو موقوف على ثبت في النقل.

﴿قُلْ يَتَّابِعُ النَّاسُ إِيَّامَنَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعَاجِزِينَ ءَأُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾

يقال: سعيت في أمر فلان: إذا أصلحه أو أفسده بسعيه، وعاجزه: سابقه؛ لأنّ كل واحد منهما في طلب إعجاز الآخر عن اللحاق به، فإذا سبقه قيل: أعجزه وعجزه، والمعنى: سعوا في معناها بالفساد من الطعن فيها؛ حيث سموها: سحرأ، وشعرأ، وأساطير، ومن تشبب الناس عنها سابقين أو مسابقين في زعمهم، وتقديرهم طامعين أن كيدهم للإسلام يتم لهم.

فإن قلت: كأن القياس أن يقال: إنما أنا لكم بشير ونذير، لذكر الفريقين بعده.

قلت: الحديث مسوق إلى المشركين، ويا أيها الناس ٣١/٢ نداء لهم، وهم الذين قيل فيهم: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [غافر: ٨٢]، ووصفوا بالاستعجال؛ وإنما أرحم المؤمنين ونوابهم ليغاظوا.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ
اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾

﴿مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾: دليل بين على تغاير الرسول والنبى، وعن النبي - ﷺ - أنه سئل عن الأنبياء، فقال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً» ح، قيل: فكم الرسل منهم: قال: «ثلاثمائة وثلاثة عشر جمّاً غفيراً» (٩٨٨)، والفرق بينهما: أن الرسول من الأنبياء: من

٩٨٨ - أخرجه ابن حبان في صحيحه (٧٦/٢) من طريق إبراهيم بن هشام الغساني عن أنس عن جده عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر، وذكر حديثاً طويلاً جداً. وفيه: قال: قلت: يا رسول الله كم الأنبياء؟ قال: «مائة ألف وعشرون ألفاً» قلت: يا رسول الله كم الرسل من ذلك؟ قال: «ثلاث مئة وثلاثة عشر جمّاً غفيراً... إلى آخر الحديث» وبهذا الإسناد رواه الطبراني في الكبير (١٥٧/٢) رقم (١٦٥١) وأبو نعيم في الحلية (١٦٦/١ - ١٦٩).

والطبراني أيضاً في مكارم الأخلاق رقم (١) مختصراً وروى جزءاً من هذا الحديث الطويل ابن ماجه في سننه (١٤١٠/٢) كتاب الزهد، باب الورع والتقوى حديث (٤٢١٨) قال الهيثمي في المجمع (٢١٩/٤): «فيه إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني وثقه ابن حبان وضعفه أبو حاتم وأبو زرعة» اهـ.

ورواه الحاكم في المستدرک (٥٩٧/٢) قال: حدثناه أبو الحسن علي بن الفضل بن إدريس السامري ببغداد ثنا الحسن بن عرفة بن يزيد العبدي حدثني يحيى بن سعيد السعدي البصري ثنا عبد الملك بن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير اللثبي عن أبي ذر - رضي الله عنه - فرواه ساكتا عليه.

جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه، والنبى غير الرسول: من لم ينزل عليه كتاب؛ وإنما أمر أن يدعو الناس إلى شريعة من قبله، والسبب في نزول هذه الآية أن رسول الله - ﷺ - لما عرض عنه قومه وشاقوه، وخالفه عشيرته، ولم يشابعوه على ما جاء به - تمنى لفرط ضجره من إعراضهم ولحرصه وتهالكه على إسلامهم ألا ينزل عليه ما ينفرهم، لعله يتخذ ذلك طريقاً إلى استمالتهم واستزالتهم عن غيهم وعنادهم، فاستمر به ما تمناه حتى نزلت عليه سورة: (والنجم)، وهو في نادي قومه؛ وذلك التمني في نفسه، فأخذ يقرؤها، فلما بلغ قوله: ﴿وَمَنْزُورَةَ الْآلَاءِ الْآخِرَىٰ﴾ ﴿١٦﴾: ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾: التي تمنأها، أي: وسوس إليه بما شيعها به، فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط إلى أن قال: تلك الغرائق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى (٩٨٩)، وروي: الغرائقة، ولم يفتن له

= وتعقبه الذهبي بقوله: قلت السعدي ليس بثقة . اهـ.

وله طريق آخر: رواه أحمد (٥/٢٦٥ - ٢٦٦)، والطبراني في الكبير (٨/٢٥٨) رقم (٧٨٧١) من طريق أبي المغيرة ثنا معان بن رفاعة ثنا علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة قال: كان رسول الله - ﷺ - جالساً وكانوا يظنون الوحي ينزل عليه فأقصروا عنه حتى جاء أبو ذر فاقتم فأنأه فجلس إليه فذكر حديثاً طويلاً فيه ذكر الأنبياء.

قال الهيثمي في المجمع (٣/١١٨): «رواه أحمد في حديث طويل والطبراني، وفيه علي بن يزيد وفيه كلام» اهـ.

قال مرة أخرى (١/١٦٤) ومداره علي بن زيد وهو ضعيف اهـ.

قال الحافظ: أخرجه أحمد وإسحاق من رواية معاذ بن رفاعة عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي أمامة: «أن أبا ذر سأل رسول الله - ﷺ -: كم الأنبياء؟ فقال: مثله، وعلي ضعيف. ورواه ابن حبان من طريق إبراهيم بن هشام الغساني حدثنا أبي عن حذيفة. يعني يحيى الغساني عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر - فذكره في حديث طويل جداً. وأفرط ابن الجوزي، فذكره في الموضوعات، واتهم به إبراهيم بن هشام المذكور. ولم يصب في ذلك: فإنها طريقاً أخرجهما الحاكم وغيره من رواية يحيى بن سعيد السعدي عن ابن جريح عن عطاء عن عبيد بن عمير عن أبي ذر بطوله. ويحيى السعدي ضعيف. ولكن لا يأتي الحكم بالوضع مع هذه المتابعة. انتهى.

٩٨٩ - رواه البزار في مسنده (٢٢٦٣ - كشف) حدثنا يوسف بن حماد ثنا أمية بن خالد ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسب أن النبي - ﷺ - كان بمكة فقرأ سورة النجم حتى انتهى إلى قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَّ وَاللَّزَىٰ﴾، فجرى على لسانه: تلك

الغرائق العلى الشفاععة منها ترتجى، قال: فسمع ذلك مشركو مكة فسروا بذلك فاشتد على رسول الله - ﷺ - فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّيَ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ أَيْدِيَهُ﴾. انتهى.

ثم قال: هذا حديث لا نعلمه يروى عن النبي - ﷺ - بإسناد متصل يجوز ذكره إلا بهذا الإسناد، ولا نعلم أحداً أسند هذا الحديث عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد عن ابن عباس إلا أمية، ولم نسمعه نحن إلا من يوسف بن حماد، وكان ثقة وغير أمية يحدث به عن أبي بشر عن سعيد بن جبير مرسلأ، وإنما يعرف هذا الحديث عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وأمية ثقة مشهور، اهـ.

حتى أدركته العصمة فتنبه عليه، وقيل: نبهه جبريل - عليه السلام - أو تكلم الشيطان بذلك

والحديث رواه الطبراني أيضاً (٥٣/١٢) رقم (١٢٤٥٠) من طريق البزار.
ورواه ابن جرير في التفسير نحوه (١٧٦/٩) رقم (٢٥٣٣٣)، وذكره السيوطي في الدر (٦٦١/٤)،
وعزاه للضياء في المختارة ولابن مردويه في التفسير.

قال الهيثمي في المجمع (١١٨/٧): «رواه البزار والطبراني... ورجالهما رجال الصحيح...»،
وأخرج ابن جرير (١٧٦/٩) رقم (٢٥٣٣١)، عن سعيد بن جبيرة قال: لما نزلت هذه الآية:
﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّكْتَ وَالْعُرَىٰ﴾ قرأها رسول الله - ﷺ - فقال: تلك الغرائق العلى، وإن شفاعتهن
لترتجى، فسجد رسول الله - ﷺ - فقال المشركون: إنه لم يذكر آلهتكم قبل اليوم بخير، فسجد
المشركون معه فأنزل الله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّيَ الْوَالِي الشَّيْطَانُ فِي
أُمْنِيَّتِهِ﴾ إلى قوله: ﴿عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيبٍ﴾. وذكره السيوطي في الدر (٦٦١/٤) وعزاه لابن المنذر
وابن أبي حاتم وابن مردويه، وصحح إسناده، وحديث ابن عباس ذكره البغوي في التفسير (٣/٢٩٢)،
والواحدي في التفسير أيضاً (٢٧٦/٣ - ٢٧٧).

قال الحافظ: أخرجه البزار، والطبري، والطبراني، وابن مردويه من طريق أمية بن خالد عن شعبة
عن أبي بشر عن سعيد بن جبيرة قال: لا أعلمه إلا عن ابن عباس «أن النبي - ﷺ - كان بمكة فقرأ
سورة النجم، حتى انتهى إلى قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّكْتَ وَالْعُرَىٰ وَمَوَاقِئَ الْأَخْرَىٰ﴾ فجرى على
لسانه: تلك الغرائق العلى، الشفاعة منها ترتجى، قال: فسمع بذلك مشركو مكة، فسروا بذلك.
فاشتبه على رسول الله - ﷺ - فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا
تَمَنَّيَ﴾ - الآية، «زاد في رواية ابن مردويه: فلما بلغ آخرها سجد وسجد معه المسلمون
والمشركون» ورواه الطبري من طريق سعيد بن جبيرة مرسلًا. وأخرجه ابن مردويه من طريق أبي
عاصم النبيل عن عثمان بن الأسود عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس نحوه. ولم يشك في وصله،
وهذا أصح طرق هذا الحديث. قال البزار: تفرد بوصله أمية بن خالد عن شعبة، وغيره برويه عنه
مرسلًا. وأخرجه الطبري وابن مردويه من وجه آخر عن ابن عباس. وهو من طريق العوفي عن جده
عطية عنه، وأخرجه الطبري من طريق محمد بن كعب القرظي، ومن طريق قتادة، ومن طريق أبي
العالية. فهذه مراسيل يقوي بعضها بعضاً. وأصل القصة في الصحيح بلفظ: «أن النبي - ﷺ - وهو
بمكة - فسجد وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس» قال البزار: المعروف في هذه
رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وأخرجها ابن مردويه من طريقه، وأخرجه الواقدي من
طريق أخرى. قلت: وفي مجموع ذلك رد على عياض حيث قال: إن من ذكر من المفسرين
وغيرهم لم يستدلوا بأحد منهم، ولا رفعها إلى صاحب إلا رواية البزار. وقد بين البزار أنه لا يعرف
من طريق يجوز ذكره سوى ما ذكره وفيه ما فيه مع وقوع الشك. قلت: أما ضعفه فلا ضعف فيه
أصلاً. فإن الجميع ثقات وأما الشك فيه فقد يجيء تأثيره ولو فرداً غريباً لكن غاية أنه يصير
مرسلًا، إنما هو حجة عند عياض وغيره ممن يقبل مرسل الثقة، أما هو حجة إذا اعتضد عند من
يرد المرسل إنما يعتضد بكثرة المتابعات. تبع ثقة رجالها. وأما طعنه فيه باختلاف الألفاظ فلا تأثير
للروايات الضعيفة الواهية في الرواية القوية. فيعتمد من القصة على الرواية الصحيحة أي يعتمد على
الرواية المتابعة وليس فيها ولا فيما تابعها اضطراب والاضطراب في غيرها. فيكفي، لأنه ضعيف
برواية الكلبي، ويكفي ما عداها، وأما طعنه فيه من جهة المعنى فله أسوة كثيرة من الأحاديث
الصحاح التي لا يؤخذ بظاهرها، بل يرد بالتأويل المعتمد إلى ما يليق بقواعد الدين. انتهى.

فأسمعه الناس، فلما سجد في آخرها سجد معه جميع من في النادي وطابت نفوسهم، وكان تمكين الشيطان من ذلك محنة من الله وابتلاء، زاد المنافقون به شكاً وظلمة، والمؤمنون نوراً وإيقاناً، والمعنى: أن الرسل والأنبياء من قبلك كانت هجيراهم كذلك إذا تمنوا مثل ما تمنيت، مكن الله الشيطان ليلقي في أمانيتهم مثل ما ألقى في أمانيتك، إرادة امتحان من حولهم، والله سبحانه له أن يمتحن عباده بما شاء من صنوف المحن وأنواع الفتن؛ ليضاعف ثواب الثابتين ويزيد في عقاب المذبذبين، وقيل: (تمنى): قرأ، وأنشد [من الطويل]:

تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ أَوَّلَ لَيْلَةٍ تَمَنَّى دَاوُدَ الزُّبُورَ عَلَى رِسْلِ^(١)

وأمنيته: قراءته، وقيل: تلك الغرائيق: إشارة إلى الملائكة، أي: هم الشفعاء لا الأصنام، ﴿يَسْخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ أي: يذهب به ويبطله، ﴿ثُمَّ يَجْجِكُمْ اللَّهُ ءَايَاتِهِ﴾ أي: يبتها.

﴿يَجْعَلُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾

والذين ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: المنافقون والشاكون، ﴿وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾: المشركون المكذبون، ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ يريد: وإن هؤلاء المنافقين والمشركين، وأصله: وإنهم، فوضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم بالظلم، ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: ليعلموا أن تمكين الشيطان من الإلقاء: هو الحق من ربك والحكمة، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى﴾: أن يتأولوا ما يتشابه في الدين بالتأويلات الصحيحة، ويطلبوا لما أشكل منه المحمل الذي تقتضيه الأصول المحكمة والقوانين الممهدة؛ حتى لا تلحقهم حيرة ولا تعثرهم شبهة ولا تزل أقدامهم، وقرئ: ﴿لهادٍ الذين آمنوا﴾: بالتثوين.

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيَّةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾﴾

الضمير في ﴿مَرِيَّةٍ مِّنْهُ﴾: للقرآن أو الرسول - ﷺ - اليوم العقيم: يوم بدر؛ وإنما وصف يوم الحرب بالعقيم؛ لأن أولاد النساء يقتلون فيه، فيصرون كأنهن عقم لم يلدن، أو

(١) تقدم.

لأن المقاتلين يقال لهم: أبناء الحرب، فإذا قتلوا وصف يوم الحرب بالعقيم على سبيل المجاز، وقيل: هو الذي لا خير فيه، يقال: ربح عقيم: إذا لم تنشأ مطراً ولم تلقح شجراً، وقيل: لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة - عليهم السلام - فيه، وعن الضحاك: أنه يوم القيامة، وأن المراد بالساعة: مقدماته، ويجوز أن يراد بالساعة ويوم عقيم: يوم القيامة، وكأنه قيل: حتى تأتيهم الساعة أو يأتيهم عذابها، فوضع (يوم عقيم) موضع الضمير.

﴿ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لَّهِ يَعْصِمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ ﴾

فإن قلت: التنوين في ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ عن أي جملة ينوب؟

قلت: تقديره: الملك يوم يؤمنون، أو يوم تزول مرتبتهم؛ لقوله: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ﴾ [الحج: ٥٥].

﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ ﴿٥٨﴾ لِيَدْخُلَنَّهُمْ مَدْخِلًا يُرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ﴾

لما جمعتهم المهاجرة في سبيل الله سوى بينهم في الموعد، وأن يعطي من مات منهم مثل ما يعطي من قتل تفضلاً منه وإحساناً، والله عليم بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم، ﴿حَلِيمٌ﴾: عن تفریط المفرط منهم بفضله وكرمه؛ روي أن طوائف من أصحاب رسول الله - ﷺ - ورضي عنهم - قالوا: يا نبي الله، هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير، ونحن نجاهد معك كما جاهدوا، فما لنا إن متنا معك؟ فأنزل الله هاتين الآيتين.

﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ، ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ﴾

تسمية الابتداء بالجزاء؛ لملايسته له من حيث أنه سبب وذلك مسبب عنه كما يحملون النظر على النظر والنقيض على النقيض للملايسة.

فإن قلت: كيف طابق ذكر العفو الغفور هذا الموضع؟ قلت ٣١/٢: المعاقب مبعوث من جهة الله - عز وجل - على الإخلال بالعقاب، والعفو عن الجاني - على طريق

التنزيه لا التحريم - و مندوب إليه، ومستوجب عند الله المدح إن أثر ما ندب إليه وسلك سبيل التنزيه، فحين لم يؤثر ذلك وانتصر وعاقب، ولم ينظر في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [البقرة: ٢٣٧]، ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ ﴿١٦﴾: فإن الله لعفو غفور، أي: لا يلومه على ترك ما بعثه عليه، وهو ضامن لنصره في كرتة الثانية من إخلاله بالعفو وانتقامه من الباغي عليه، ويجوز أن يضمن له النصر على الباغي، ويعرض مع ذلك بما كان أولى به من العفو، ويلوح به بذكر هاتين الصفتين، أو دلّ بذكر العفو والمغفرة على أنه قادر على العقوبة؛ لأنه لا يوصف بالعفو إلا القادر على ضده.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ﴿١٦﴾

﴿ذَلِكَ﴾ أي: ذلك النصر بسبب أنه قادر، ومن آيات قدرته البالغة أنه ﴿يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾، أو بسبب: أنه خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على أيدي عباده من الخير والشر والبغي والإنصاف، وأنه ﴿سَمِيعٌ﴾: لما يقولون، ﴿بَصِيرٌ﴾: بما يفعلون.

فإن قلت: ما معنى: إيلاج أحد الملونين في الآخر؟

قلت: تحصيل ظلمة هذا في مكان ضياء ذلك بغيوبة الشمس، وضياء ذلك في مكان ظلمة هذا بطلوعها، كما يضيء السرب^(١) بالسراج ويظلم بفقده، وقيل: هو زيادته في أحدهما ما ينقص من الآخر من الساعات.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ ﴿١٧﴾

وقرى (تدعون): بالثناء والياء، وقرأ اليماني: «أن ما يدعون»، بلفظ المبني للمفعول، والواو راجعة إلى «ما»؛ لأنه في معنى الآلهة، أي: ذلك الوصف بخلق الليل والنهار والإحاطة بما يجري فيهما وإدراك كل قول وفعل، بسبب أنه الله الحق الثابت إلهيته، وأن كل ما يدعى إلهاً دونه باطل الدعوة، وأنه لا شيء أعلى منه شأنًا وأكبر سلطاناً.

(١) قوله «كما يضيء السرب» السرب - بالفتح -: والسرب - بالتحريك -: بيت في الأرض. أفاده الصحاح. (ع)

﴿الَّذِينَ تَرَأَى اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (١٦) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَهُ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٦﴾

قرئ: ﴿مُخْضَرَّةٌ﴾ أي: ذات خضر، على مفعلة، كمقبلة ومسبعة.

فإن قلت: هلا قيل: فأصبحت؟ ولم صرف إلى لفظ المضارع؟

قلت: لنكتة فيه، وهي: إفادة بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان، كما تقول: أنعم عليّ فلان عام كذا، فأروح وأعدو شاكرأ له، ولو قلت: فرحت وغدوت، لم يقع ذلك الموقع.

فإن قلت: فما له رفع ولم ينصب جواباً للاستفهام؟

قلت: لو نصب لأعطى ما هو عكس الغرض؛ لأنّ معناه إثبات الاخضرار، فينقلب بالنصب إلى نفي الاخضرار، مثاله أن تقول لصاحبك: أم ترأني أنعمت عليك فتشكر: إن نصبت فأنت ناف لشكره شك تفريطه فيه، وإن رفعته فأنت مثبت للشكر، وهذا وأمثاله مما يجب أن يرغب له من اتسم بالعلم في علم الإعراب وتوقير أهله، ﴿لَطِيفٌ﴾: واصل علمه أو فضله إلى كل شيء، ﴿خَبِيرٌ﴾: بمصالح الخلق ومنافعهم.

﴿الَّذِينَ تَرَأَى اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَاءً فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (١٥) وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿١٦﴾

﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: من البهائم مذلة للركوب في البر، ومن المراكب جارية في البحر، وغير ذلك من سائر المسخرات، وقرئ: (والفلك): بالرفع على الابتداء، ﴿أَنْ تَقَعَ﴾: كراهة أن تقع ﴿إِلَّا﴾: بمشيتته ﴿أَحْيَاكُمْ﴾: بعد أن كنتم جماداً تراباً، ونطفة، وعلقة، ومضغة، ﴿لَكُفُورٌ﴾: لجحود؛ لما أفاض عليه من ضروب النعم.

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُكَ فِي الْأَمْرِ وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَلَّذِي لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُكَ فِي الْأَمْرِ وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَلَّذِي لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ (١٧) هُدًى مُسْتَقِيمٌ ﴿١٧﴾

هو نهي لرسول الله - ﷺ - أي: لا تلتفت إلى قولهم ولا تمكنهم من أن ينازعوك، أو هو زجر لهم عن التعرض لرسول الله - ﷺ - بالمنازعة في الدين وهم جهال لا علم عندهم وهم كفار خزاعة، روي أن بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان الخزاعيين وغيرهما قالوا

للمسلمين: ما لكم تأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون ما قتله الله! يعنون: الميتة، وقال الزجاج: هو نهي له - ﷺ - عن منازعتهم، كما تقول: لا يضاربك فلان، أي: لا تضاربه، وهذا جائز في الفعل الذي لا يكون إلا بين اثنين ﴿فِي الْأَمْرِ﴾: في أمر الدين، وقيل: في أمر النساءك، وقرئ: فلا ينزعك، أي: اثبت في دينك ثباتاً لا يطمعون أن يجذبوك ليزيلوك عنه، والمراد: زيادة التثبيت للنبي - ﷺ - بما يهيج حميته ويلهب غضبه لله ولدينه؛ ومنه قوله: ﴿وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ [القصص: ٨٧]، ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٤]، ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهيراً لِلْكَافِرِينَ﴾ [القصص: ٨٦]، وهيهات أن ترتع همة رسول الله - ﷺ - حول ذلك الحمى؛ ولكنه وارد على ما قلت لك من إرادة التهيج والإلهاب، وقال الزجاج: هو من نازعته فنزعته أنزعها، أي: غلبته، أي: لا يغلبك في المنازعة.

فإن قلت: لم جاءت نظيرة هذه الآية^(١) معطوفة بالواو، وقد نزع عن هذه؟

قلت: لأن تلك وقعت مع ما يدانيها ويناسبها من الآي الواردة في أمر النساءك، فعطف على أخواتها، وأما هذه فواقعة مع أبعاد عن معناها فلم تجد معطفاً.

﴿وَإِنْ جَدَلْتُمْ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٧٨)

أي: وإن أبوا للجاجهم إلا المجادلة بعد اجتهادك ألا يكون بينك وبينهم تنازع، فادفعهم بأن الله أعلم بأعمالكم وبقبحها وبما تستحقون عليها من الجزاء فهو مجازيكم به، وهذا وعيد وإنذار، ولكن برفق ولين.

﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (٦٩) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٧٠)

﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ ١٣٢/٢: خطاب من الله للمؤمنين والكافرين، أي: يفصل بينكم بالثواب والعقاب ومسلاة للنبي - ﷺ - مما كان يلقي منهم، وكيف يخفى عليه ما يعملون، ومعلوم عند العلماء بالله أنه يعلم كل ما يحدث في السموات والأرض، وقد كتبه في اللوح قبل حدوثه، والإحاطة بذلك وإثباته وحفظه عليه، ﴿يَسِيرٌ﴾؛ لأن العالم الذات لا يتعذر عليه ولا يمتنع تعلق بمعلوم^(٢).

(١) قوله «نظيرة هذه الآية» هي قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ [الحج: ٤٤] (ع)

(٢) قال محمود: «معناه أن الله عالم بالذات لا يتعذر عليه تعلق بمعلوم» قال أحمد: وقد تقدم مثله وأنكرنا عليه تحميلة القرآن ما لا يحتمله، فإن الأعلم في اللغة: ذو العلم الزائد المفضل على علم =

﴿وَعَبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ

نَصِيرٍ ﴿٧٦﴾

﴿وَعَبُدُونَ﴾: ما لم يتمسكوا في صحة عبادته ببرهان سماوي من جهة الوحي والسمع، ولا ألجأهم إليها علم ضروري، ولا حملهم عليها دليل عقلي، ﴿وَمَا﴾: للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من أحد ينصرهم ويصوب مذهبهم.

﴿وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بِتَنْزِيلٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ
يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ كُفِرْتُمْ مِنَ الذِّكْرِ الْوَعْدِ وَاللَّهُ
الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿٧٧﴾

﴿الْمُنْكَرُ﴾: الفطيع من التجهم والبسور^(١)، أو الإنكار، كالمكرم بمعنى: الإكرام، وقرئ: «يعرف»، والمنكر، والسطو: الوثب والبطش، قرئ: (النار): بالرفع، على أنه خير مبتدأ محذوف، كأن قائلًا قال: ما هو؟ فقليل: النار، أي: هو النار، وبالنصب على الاختصاص، وبالجزء على البدل من: ﴿بَشْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ﴾: من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم، أو مما أصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلي عليكم، ﴿وَعَدَهَا اللَّهُ﴾: استئناف كلام، ويحتمل أن تكون (النار): مبتدأ، (وعددها): خبراً، وأن يكون حالاً عنها إذا نصبها أو جررتها بإضمار «قد».

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا
ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْتَأْذِنُوا لَأَنَسْتَفِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ
وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٨﴾

فإن قلت: الذي جاء به ليس بمثل، فكيف سماه مثلاً؟

قلت: قد سميت الصفة أو القصة الرائعة الملتقاة بالاستحسان والاستغراب: مثلاً؛ تشبيهاً لها ببعض الأمثال المسيرة؛ لكونها مستحسنة مستغربة عندهم، قرئ: (تدعون): بالتاء والياء، ويدعون: مبنياً للمفعول، ﴿لَنْ﴾: أخت «لا» في نفي المستقبل، إلا أن «لن»

= غيره، فكيف يفسر بما ينفي صفة العلم البتة؟ هب أن الأدلة العقلية لا وجود لها، والله الموفق للصواب.

(١) قوله «التجهم والبسور» كل منهما: كلوح الوجه. أفاده الصحاح. (ع)

تنفيه نفيًا مؤكداً، وتأكيدُه ههنا الدلالة^(١) على أن خلق الذباب منهم مستحيل مناف لأحوالهم، كأنه قال: محال أن يخلقوا.

فإن قلت: ما محل: ﴿وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾؟

قلت: النصب على الحال، كأنه قال: مستحيل أن يخلقوا الذباب مشروطاً عليهم اجتماعهم جميعاً لخلقه وتعاونهم عليه، وهذا من أبلغ ما أنزله الله في تجهيل قريش واستركاك عقولهم، والشهادة على أن الشيطان قد خزمهم بخزائمه^(٢)؛ حيث وصفوا بالإلهية - التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها، والإحاطة بالمعلومات عن آخرها - صوراً وتمائيل يستحيل منها أن تقدر على أقل ما خلقه وأذله وأصغره وأحقره، ولو اجتمعوا لذلك وتساندوا، وأدل من ذلك على عجزهم وانتفاء قدرتهم: أن هذا الخلق الأقل الأذل لو اختطف منهم شيئاً فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه لم يقدرُوا، وقوله: ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾: كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف، ولو حققت وجدت الطالب أضعف وأضعف؛ لأن الذباب حيوان، وهو جماد، وهو غالب وذاك مغلوب، وعن ابن عباس: أنهم كانوا يطلونها بالزعفران، ورءوسها بالعسل، ويفلقون عليها الأبواب، فيدخل الذباب من الكوى فيأكله.

﴿مَا فَكَّرُوا اللَّهَ حَقَّ فَكْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٧٤)

﴿مَا فَكَّرُوا اللَّهَ حَقَّ فَكْرِهِ﴾ أي: ما عرفوه حق معرفته، حتى لا يسموا باسمه من هو منسلخ عن صفاته بأسرها، ولا يوهلوه للعبادة، ولا يتخذوه شريكاً له: إن الله قادر غالب، فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيهاً به؟

﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِمَّنِ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٧٥) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (٧٦)

هذا رد لما أنكروه من أن يكون الرسول من البشر، وبيان أن رسل الله على ضربين: ملائكة وبشر، ثم ذكر أنه - تعالى - دزلك للمدركات، عالم بأحوال المكلفين ما مضى منها وما غبر، لا تخفى عليه منهم خافية، وإليه مرجع الأمور كلها، والذي هو بهذه الصفات، لا يسأل عما يفعل، وليس لأحد أن يعترض عليه في حكمه وتدبيره واختيار رسله.

(١) قوله «الدلالة» لعله «الدلالة» كعبارة النسفي. (ع)

(٢) قوله «إن الشيطان قد خزمهم بخزائمه» في الصحاح، خزمت البعير بالخزامة، وهي حلقة من شعر تجعل في وتره أنفه، يشد فيها الزمام. (ع)

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ

تُقَلِّحُونَ ﴿٧٧﴾

للذكر شأن ليس لغيره من الطاعات، وفي هذه السورة دلالات على ذلك، فمن ثمة دعا المؤمنين أولاً إلى الصلاة التي هي ذكر خالص، ثم إلى العبادة بغير الصلاة كالصوم والحج والغزو، ثم عمّ بالحث على سائر الخيرات، وقيل: كان الناس أوّل ما أسلموا يسجدون بلا ركوع ويركعون بلا سجود، فأمروا أن تكون صلاتهم بركوع وسجود، وقيل: معنى ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾: اقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله، وعن ابن عباس في قوله: ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾: صلة الأرحام ومكارم الأخلاق، ﴿لَعَلَّكُمْ تُقَلِّحُونَ﴾ أي: افعلوا هذا كله وأنتم راجون للفلاح طامعون فيه، غير مستيقنين ولا تتكلوا على أعمالكم، وعن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي سُورَةِ الْحَجِّ سَجْدَتَانِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِنَّ لَمْ تَسْجُدْهُمَا، فَلَا تَقْرَأَهُمَا» (٩٩٠)، وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - فضلت سورة الحج بسجديتين (٩٩١)، وبذلك احتج الشافعي - رضي الله عنه - فرأى سجديتين في سورة الحج، وأبو حنيفة وأصحابه - رضي الله عنهم - لا يرون فيها إلا سجدة واحدة؛ لأنهم يقولون: قرن السجود بالركوع؛ ٣٢/٢ ب فدل ذلك على أنها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة.

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۗ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ
أَبِيكُمْ إِزْرَاهِمَ ۗ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ
وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ
الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

٩٩٠ - أخرجه أبو داود (٤٤٦/١) كتاب الصلاة، باب تفريع أبواب السجود وكم سجدة في القرآن حديث (١٤٠٢)، والترمذي (٤٧٠/٢ - ٤٧١) أبواب الصلاة، باب ما جاء في السجدة في الحج حديث (٥٧٨)، وأحمد في المسند (١٥١/٤ - ١٥٥)، والدارقطني (٤٠٨/١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣١٧/٢)، وفي المعرفة (١٥٣/٢) رقم (١١٠٦)، والحاكم في المستدرک (٢٢١/١)، وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للطبراني في الكبير.
قال الحافظ: لم أره بصيغة المواجهة، وإنما أخرجه أبو داود والترمذي وأحمد والدارقطني والطبراني والحاكم؛ كلهم من رواية ابن لهيعة عن فرج بن ماهان عن عفية بلفظ: «ومن لم يسجداهم فلا يقرأهما» قال الترمذي: إسناده ليس بالقوي. انتهى.
٩٩١ - ذكره الشافعي في الأم (١٣٨/١) عن عمر ورواه البيهقي في المعرفة ١٥٢/١ رقم (١١٠٣).

﴿وَجَاهِدُوا﴾: أمر بالغزو وبمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الأكبر، عن النبي - ﷺ - أنه رجع من بعض غزواته فقال: «رَجَعْنَا مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ» (٩٩٢) ﴿فِي اللَّهِ﴾ أي: في ذات الله ومن أجله، يقال: هو حق عالم، وجدَّ عالم، أي: عالم حقًا وجدًّا، ومنه: ﴿حَقَّ جِهَادِي﴾.

فإن قلت: ما وجه هذه الإضافة، وكان القياس: حق الجهاد فيه أو حق جهادكم فيه، كما قال: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ﴾؟

قلت: الإضافة: تكون بأدنى ملايسة واختصاص، فلما كان الجهاد مختصاً بالله من حيث أنه مفعول لوجهه ومن أجله، صحت إضافته إليه، ويجوز أن يتسع في الظرف؛ كقوله [من الطويل]:

وَيَوْمًا شَهِدْنَا سُلَيْمًا وَعَامِرًا^(١)

﴿اجْتَبَيْتُكُمْ﴾: اختاركم لدينه ولنصرته، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾: فتح باب التوبة للمجرمين، وفسح بأنواع الرخص والكفارات والديات والأروش؛ ونحوه قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وأمة محمد - ﷺ - هي الأمة المرحومة الموسومة بذلك في الكتب المتقدمة.

نصب الملة بمضمون ما تقدمها، كأنه قيل: وسع دينكم توسعة ملة أبيكم، ثم حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، أو على الاختصاص، أي: أعني بالدين ملة أبيكم؛ كقولك: الحمد لله الحميد.

فإن قلت: لم يكن ﴿إِبْرَاهِمَ﴾ أبا للأمم كلها.

٩٩٢ - وقال الزيلعي (٢/٣٩٥): غريب جداً وذكره الثعلبي هكذا من غير سند وعزاه أيضاً للنسائي في كتاب الكنى وقد روى البيهقي في الزهد الكبير رقم (٣٧٣) أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أنبأنا أحمد بن عبيد ثنا تمام ثنا عيسى بن إبراهيم ثنا يحيى بن يعلى عن ليث عن عطاء عن جابر قال: «قدم على رسول الله - ﷺ - قوم غزاة فقال - ﷺ -: «قدمتم خير مقدم من جهاد الأصغر إلى جهاد الأكبر قيل وما جهاد الأكبر؟ قال مجاهدة العبد هواه» ثم قال وهذا إسناد فيه ضعف.

قال الحافظ: هكذا ذكره الثعلبي بغير سند، وأخرجه البيهقي في الزهد من حديث جابر، قال «قدم على رسول الله - ﷺ - قوم غزاة. فقال: «قدمتم بخير مقدم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر. قيل: وما الجهاد الأكبر؟ قال: مجاهدة العبد هواه» قال: فيه ضعف، قلت: هو من رواية عيسى بن إبراهيم عن يحيى بن يعلى عن ليث بن أبي سليم، والثلاثة ضعفاء، وأورده النسائي في الكنى من قول إبراهيم بن أبي عيلة، أحد التابعين من أهل الشام. انتهى.

(١) تقدم.

قلت: هو أبو رسول الله - ﷺ - فكان أبا لأمته؛ لأن أمة الرسول في حكم أولاده، ﴿هُوَ﴾: يرجع إلى الله تعالى، وقيل: إلى إبراهيم؛ ويشهد للقول الأول قراءة أبي بن كعب: الله سماكم، ﴿مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾ أي: من قبل القرآن في سائر الكتب وفي القرآن، أي: فضلكم على الأمم وسماكم بهذا الاسم الأكرم، ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾: أنه قد بلغكم، ﴿وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾: بأن الرسل قد بلغتهم، وإذ خصكم بهذه الكرامة والأثرة، فاعبدوه وثقوا به ولا تطلبوا النصر والولاية إلا منه؛ فهو خير مولى وناصر.

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْحَجِّ أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ كَحَجَّةٍ حَجَّهَا، وَعُمْرَةٍ أُعْتَمَرَهَا بَعْدَ مَنْ حَجَّ وَأُعْتَمَرَ فِيمَا مَضَى وَفِيمَا بَقِيَ» (٩٩٣).

٩٩٣ - تقدم برقم (٣٤٦).

قال الحافظ: أخرجه الثعلبي وابن مردويه من حديث أبي بن كعب بالإسناد المذكور في سورة آل عمران. انتهى.